

## سورة البقرة

[التذكير بنعم الله على بني إسرائيل]<sup>(١)</sup>

❁ قال تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيتِي فَأَرْهَبُونَ ﴿٤٠﴾ وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَابَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيتِي فَأَنْتَقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

[البقرة: ٤٠-٤٤]. [١]

[شرح ١] يُذَكَّرُ سبحانه في هذه الآيات بما فعله مع بني إسرائيل من النعم العظيمة، والخير الكثير، والنصر على العدو، ويذكر أحفادهم الذين كانوا في المدينة - وهم يهود المدينة - بما أنعم به على أسلافهم، =

(١) هذه العناوين التي بين حاصرتين من وضع المعني بالكتاب.

= لعلمهم ينتبهون، ولعلمهم يشكرون، ولعلمهم يتوبون من جحدهم وكفرهم وضلالهم، ويُقرُّون بنبوَّة محمد ﷺ وينقادون لما جاء به من الهدى، وهم يعلمون ذلك، وهو موجود في كتابهم «التوراة» - العهد القديم - فيعدد عليهم النعم العظيمة.

﴿يَنْبَغِي إِسْرَائِيلَ﴾ وإسرائيل هو: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وإسرائيل معناه: عبد الله، فيذكِّرهم بهذا العبد الصالح وبأولاده، وأن الواجب عليهم أن يتبعوا ما كان عليه من الهدى.

ومن الهدى: الإقرار بالحق، والإقرار بالرسول، فكلما بُعث رسول عليهم أن يتبعوه، وأن ينقادوا لما جاء به، وخاتم الرسل هو محمد عليه الصلاة والسلام، كما هي مبينة صفاته عندهم في «العهد القديم»، وأن عليهم أن يؤمنوا به ويصدقوه، ولكن القوم استمروا في الجهل والضلال، والعياذ بالله.

والتذكير بالنعم دعوة إلى شكرها، وإلى السير على منهاجها، وعدم الجحد والكفر بها، ولكن القوم أكثرهم في ضلال وعماء، وقسوة في قلوبهم وإعراض عن الحق، وإيثار للدنيا على الآخرة، =

= والعياذ بالله.

ويبين سبحانه وتعالى في هذه الآيات، النعم الكثيرة التي أسداها إلى أسلافهم؛ لينتبهوا وليذكروا هذا الخير، وليبادروا بالشكر لله سبحانه وتعالى.

والمقصود من ذلك أيضاً تذكيرنا نحن - أمة محمد ﷺ -، وأن علينا أن نحذر ما فعله اليهود، وأن لا نكون مثلهم في إنكار النعم وعدم شكرها، وعدم الخضوع للمنعن سبحانه وتعالى بطاعة أمره وترك نبيه. وقد قال بعض السلف في هذا: مضى القوم ولم يُعَنَ به سواكم؛ يعني: لم يُعَنَ به إلا أنتم، لتستقيموا ولتشكروا الله على نعمه، ولتحذروا غضبه سبحانه وتعالى.

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يعني: بالقرآن وبمحمد عليه الصلاة والسلام، وما ذاك إلا أن اليهود هم الذين في المدينة، وهم الذين يسمعون دعوة محمد مباشرة، وقبل من كان في مصر أو الشام أو اليمن أو غير ذلك، فإذا كفروا به وأنكروا ما جاء به صاروا بهذا أول من كفر به من هذه الحثية، وإلا فقد كفر به قبلهم أهل مكة، =

= ولكن المقصود هنا بنو إسرائيل.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ وفي هذا أيضاً

توبيخ لهم على أعمالهم القبيحة التي جاؤوا بها، والتي منها: أمرهم الناس بالبر ونسيانهم أنفسهم، فهم موبّخون لنسيانهم أنفسهم لا على أمرهم بالبر، فأمرهم بالبر مطلوب، والعاصي له أن يأمر وينهى، بل عليه أن يأمر وينهى، ولكن عيبه والذي يؤخذ عليه أن يأمر ولا يفعل، وأن ينهى ويفعل.

فالمطلوب من كل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن كان عنده معاص، فلو لم يأمر إلا من كان كاملاً لتعطل هذا الواجب العظيم، ولكن على الأمر أو الناهي أن يتقي الله، ولا يتشبه باليهود الذين يأمرون بالبر وينسون أنفسهم، قال بعض السلف في هذا: إنهم كانوا يأمرون أصدقاءهم وأولياءهم بمتابعة محمد ﷺ، فيقولون لهم تابعوا: محمداً، ويبينون لهم أوصافه، ويرشدونهم إليه، وينصحونهم، وهم مع ذلك لا يتبعون محمداً عليه الصلاة والسلام. وقال بعضهم: ذلك أنهم يأمرون عامتهم =

= من أهل الكتاب باتباع التوراة والتمسك بها، وهم أنفسهم يخالفونها ويمجدون عنها ويمجدون كثيراً منها بأهوائهم.

وفي كلِّ حال هم ملومون على كفرهم، وعصيانهم ما أمروا به غيرهم، سواء كان أمرهم لهم باتباع محمد أو باتباع التوراة، فهم ملومون على كل حال.

والمقصود من هذا كله أن تتنبَّه هذه الأمة، وألا تكون مثل أولئك اليهود الضالين والمغضوب عليهم، الذين يعرفون الحق ويعلمونه في قرارة قلوبهم، ولكن يحملهم الحسد والبغي وإيثار العاجلة على ترك الحق، نسأل الله السلامة.

[بعض ما وقع لبني إسرائيل من العقوبات]

❁ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ<sup>٥٨</sup> وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٩﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة: ٥٨-٥٩]. [٢]

[شرح ٢] في هذه الآيات - كما التي قبلها - عِظة وذكرى وبيان لما وقع لبني إسرائيل من العقوبات، وما ساق الله لهم من النعم، وأنه سبحانه ابتلاهم بالنعم الكثيرة، وابتلاهم بالمخالفة لكثير من أوامره، وبسبب ما فعلوه من قتلهم الأنبياء، والاعتداء عليهم، فمن أجل ذلك فرض الله عليهم الدِّلة والمسكنة، وباؤوا بغضب من الله - نعوذ بالله - لأن الله ساق لهم نعماً كثيرة وأرزاقاً متنوعة، وأمرهم بأوامر ونهاهم عن نواهٍ، ولكنهم كثيراً ما يرتكبون النواهي ويعصون الأوامر.

= قيل لهم: ﴿وَادْخُلُوا أَبْطَابَ سُجْدًا﴾ فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حنطة في شعيرة، وغيّروا وبدّلوا. وقد جعل الله طاعتهم حِطَّةً لذنوبهم، ولكنهم لم يمتثلوا، وإنما غيّرنا وبدّلنا، فصار ذلك من أسباب عذابهم ونكالهم.

والله ﷻ يغفر للمحسنين ويزيدهم من فضله، فإذا امتثل العبد أمره وابتعد عن نهيه، غفر الله له سبحانه وتعالى وزاده من فضله ﴿وَسَبَّزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

ولكن إذا أبى العبد إلا العصيان والتباعد عن أمره وارتكاب نهيه، فإنه بهذا متعرّض لغضب الله وعقابه كما تعرّضت اليهود، فصاروا إلى ما صاروا إليه من غضب الله ونكاله، وقسوة قلوبهم وعصيانهم للرسول، واستدبارهم عن الحق إلى يومنا هذا.

ولقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ فاستكبروا عن طاعته واستمروا في عصيانه وعدم تصديقه ﷺ، كما فعلوا بموسى وهارون عليهما السلام، وكما فعلوا بعيسى عليه السلام - كذبوه ورموه بالعظام وقالوا: إنه ولد بغي - فجرائمهم كثيرة وشرهم متلوّن، نعوذ بالله من هذا. =

= والسر في ذلك استكبارهم عن الحق وإيثارهم العاجلة وعدم شكرهم للنعم؛ لذا فيجب على كل من له أدنى بصيرة أن يتنبه لهذا الأمر، وأن يحذر من التشبه بأولئك الأعداء، فالله قصص علينا قصصهم لنحذر ولناخذ العبرة، وأن من ارتكب محارم الله، وتباعد عن أمره سبحانه وتعالى، استحق العقوبة واستحق الغضب - وإن كان من كان - فقد فضّلهم الله على العالمين في زمانهم، وأعطاهم خيراً كثيراً، وأرسل لهم الرسل الكثيرة، ومع ذلك لما عصوا واستكبروا أصابهم ما أصابهم من غضب الله وعقابه، وحلّ بهم ما حلّ من أنواع العقوبات حتى مُسّخ بعضهم قردهً وبعضهم خنازير - نعوذ بالله - بسبب عصيانهم وكفرهم بالله واستكبارهم عن الحق. فلنا - معشر أمة محمد ﷺ - في هذا عظة وذكرى حتى نحذر معاصي الله، ونقف عند حدوده، وحتى نتباعد عن مناهيه، ونسارع إلى أوامر الله سبحانه وتعالى.

ومن تأمل قصة بني إسرائيل في كل مكان رأى فيها العظة، ففي سورة البقرة وفي سورة الأعراف وغيرهما، يرى منهم من =

= العصيان والاستكبار والمخالفة للأنبياء ما يدل على مرض القلوب وقسوتها وكبرها وحسدها وعدم مُبالاتها بأمر الله، يتوبون ثم ينقضون، ويعملون الصالحات ثم يعودون للسيئات، والعياذ بالله. فالملقصود من هذا كله أن يَنْتَبِهَ العاقل، وألا يكون مثل هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فاستحقوا العقاب من الله، وأن يَعْلَمَ أن الله سبحانه وتعالى يبتلي بالنعم والنقم، ويبتلي بالسراء والضراء.

فالواجب أن تُقَابِلَ السَّراءُ بِشكر الله والقيام بحقِّه، وأن تُقَابِلَ الضَّرَّاءَ بالصبر والاحتساب حتى يفرِّجَ الله، مع تعاطي الأسباب التي شرعها سبحانه لعلاج ما يقع من الضَّرَّاءِ، فعلاج الذنوب بالتوبة النصوح، وعلاج النِّعم التي يَسَّرَها جل وعلا بشكره والقيام بحقِّه والاستعانة بها على طاعته سبحانه وتعالى، وعلاجُ الأمراض وغير ذلك من الأشياء بالأسباب التي شرعها الله مع سؤاله العافية، والشفاء إلى غير ذلك، فما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء، وأعظم الداء الكفر بالله ثم سائر الذنوب، والله تعالى جعل لها دواءً وهو التوبة، فمن تاب تاب الله عليه، فنسأل الله العافية =

= والتوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله\* .

\* س: ما حالات التشبه باليهود والنصارى؟

ج: تنوع، فتارة يكون التشبه بهم في العقيدة وتارة يكون فيما دون ذلك، فقد يُشَبَّهُ بهم في العقيدة - نعوذ بالله - في تكذيب الرسل، كتكذيب عيسى أو محمد عليهما الصلاة والسلام، فمن فعل ذلك صار مثلهم في الكفر بالله، وقد يُشَبَّهُ بهم فيما دون العقيدة كارتكاب المعاصي، فمن عصى الله وهو يعلم فقد تشبه باليهود؛ لأنهم عصوا الله على علم فاستحقوا الغضب، فكل من عصى الله على علم فله شبه بهم في استحقاقه خَصَلَةً من غضب الله.

واليهود ليس لهم خاصية بهذا، فالمقصود أي تشبه بكل أنواع الكفار، فَمَنْ تَشَبَّهَ بِهَا اخْتَصَّ به النصارى في دينهم، وصار معروفاً من دينهم، أو في أزيائهم الخاصة، فقد أصبح يُقْتَدَى بهم، نسأل الله العافية، وفي ذلك وعيد شديد قال عليه الصلاة والسلام: «من تشبه بقوم فهو منهم»<sup>(١)</sup>، فهو وعيد شديد يجب الحذر منه.

س: ما الحدُّ الفاصل للتشبه بالكفار في اللباس وغير ذلك، وخصوصاً =

(١) أخرجه أبو داود: اللباس (٤٠٣١).

= أن بعض البلاد التي تسمى بالإسلام لها لباس - وبكل أسف - بينه وبين لباس اليهود والنصارى وغيرهم شبهه؟

ج: إذا انتشر الشيء بين المسلمين وغيرهم فلا يكون فيه شبه بالكفار، وإنما التشبه في شيء من أصل دينهم أو يغلب عليهم دون غيرهم، أما إذا انتشر بين المسلمين مثل: الكنادر، وركوب السيارات، وركوب الطائرات، فهو مشترك، ليس فيه تشبه.

وهذا بخلاف الشيء الذي يكون في زيّهم أو عاداتهم في بلادهم أو فيما بينهم، فينبغي أن يُتحرّز منه، مثل: النار للنصارى، ومثل عادة النصارى واليهود في مزياعهم وفي أغانيهم التي يمتازون بها أو غلبت عليهم، فلا يتشبه المسلم بها، وأما ما انتشر بين العالم وصار للعالم كله فهو مشترك فلا يكون هذا خاصاً بالكفار، وليس فيه تشبه بأعداء الله.

س: هل لبس البنطال من التشبه بهم؟

ج: كَثُرَ البنطال الآن بين المسلمين والكفار وانتشر، لكن تركه أولى؛ لأن فعله يغلب على الكفرة، فأن يُترك ويُتَحاشى أحوط، وإن كان قد انتشر بين المسلمين ولبسه المسلمون وغيرهم، ورأوا فيه خفة لهم في أعمالهم وفي غير ذلك، ورأوا أنه أسهل عليهم من اللبس المعتاد. فهذا - فيما يظهر - يخف فيه التشبه؛ لأنه الآن صار من زي أهل الإسلام، ورأوا فيه مصلحة، =

= وقد يقال في هذا: إنه لا يكون تشبهه بمحرّم، ولكن ينبغي أن يُتورع عنه.  
 ومن هذا الباب لبس النبي ﷺ الحِبرَة وهي من برود اليمن، وكان  
 اليمن أكثره كافر، ولُبس الحِجَّة الشامية في الشام شيء مُشترك، فالذي فشا  
 بين العرب لا يكون فيه تشبه، فالجبة الشامية التي لبسها يوم تبوك، فلما  
 ضاقت عليه أخرج يديه من أسفلها وغسلها، وبرود اليمن كانت تُباع في  
 المدينة فيشترونها ويلبسونها لأنها شيء معتاد، وكالأزر المخططة أصبحوا  
 ينسجونها في اليمن.

س: إذا لبس الشاب المسلم البنطال لم يكن فارق بينه وبين اليهودي في  
 لباسه، فمثلاً إذا دخل أحدنا محلاً، لا يدري من المسلم، فما الرأي؟  
 ج: هذا شيء آخر، فينبغي أن يكون للشباب ميّزة في التَّنَقُّل في البلاد  
 بين المسلمين والكفار، وينبغي أن يكون للكفار ميّزة حتى يُعرَفوا وحتى لا  
 يتشبهوا بالمسلمين؛ فإذا كان للمسلمين قوة ينبغي أن يلزموا الكفار بزِيٍّ  
 خاص، وإذا لم يكن لهم قوة ينبغي أن يتزيّوا هم بزِيٍّ يُميّزهم عن أعدائهم  
 إذا كان هناك اختلاط كثير واشتباه، حتى لا يشتبهوا بالمسلمين في مراكبهم  
 وفي لباسهم، فلا بد عند الاشتباه من العناية بزِيٍّ يُميز هؤلاء عن هؤلاء،  
 سواء كان في المسلمين أو في الكافرين.

ومن أحسن من كتب في هذا الباب شيخ الإسلام أبو العباس ابن  
 تيمية رحمة الله عليه، فقد كتب في هذا كتابة عظيمة ومفيدة في كتاب: =

.....

= «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم»، وهو كتاب جيد ينبغي أن يُقرأ وأن يُعتنى به اعتناءً كبيراً.

## [تحويل القبلة]

\* قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ  
 الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٣﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
 عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ  
 الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى  
 عَقْبَيْهِ ۗ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ  
 لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَى  
 تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۗ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۗ فَوَلِّ  
 وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۗ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ  
 شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ  
 وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
 بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۗ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ ۗ وَمَا بَعْضُهُمْ  
 بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۗ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا

جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ  
 آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ  
 لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ  
 الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ [البقرة: ١٤٢-١٤٧]. [٣]

[شرح ٣] في هذه الآيات من التوجيه والإرشاد والدعوة إلى الخير  
 والتنبيه على ضلال اليهود وجحدهم للحق واستكبارهم عن  
 أتباعه ما فيه عظة وذكرى لأهل الإيمان، وهكذا شأن كتاب الله  
 جل وعلا في كل مكان، كلُّ عظة، وكلُّ ذكرى، وكلُّ توجيه إلى  
 الخير، لكن لمن تدبَّر وتعقَّل، ولمن آمن بأنه من عند الله جل وعلا،  
 وأنه كلامه سبحانه، فجدير بالمؤمن أن يُعنى بهذا الكتاب  
 العظيم، وأن يُقبل عليه دائماً بتدبر وتعقُّل، وأن يحرص على  
 الاستفادة منه، فإنه كتاب الله الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ  
 وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ تَزِيلُ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿[فصلت: ٤٢]، وقد قال  
 سبحانه فيه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو  
 الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي  
 هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وفيه يقول: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ =

= مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ  
 بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ [الأنعام: ١٥٥] ،  
 ويقول أيضاً: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾  
 [محمد: ٢٤].

فجدير بالمؤمن - ولا سيما طالب العلم - أن يَحْصَّ هذا  
 الكتاب بالعناية العظيمة في قراءته وتلاوته وتدبره، والحرص على  
 الاستفادة منه، ومعرفة مراد الله منه، حتى يعمل بذلك.

فعندما نسخ الله القبلة قبل أن يأتي محمد ﷺ إلى المدينة، حيث  
 صَلَّى إلى جهة الشام دهرًا طويلًا؛ نحو ستة عشر شهرًا أو سبعة  
 عشر شهرًا، ثم حَوَّلَهُ اللهُ إلى الكعبة في رجب أو شعبان من السنة  
 الثانية للهجرة، فبينَ اللهُ سبحانه وتعالى قول السفهاء من اليهود:  
 ﴿ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ واستنكروا ذلك وعابوا  
 عليهم هذا التحول عن القبلة التي كانوا يصلون إلى جهتها، وهذا  
 من ظلم اليهود ومن جهلهم ومن عنادهم، فهم يعلمون أن الله  
 جل وعلا ينسخ ما يشاء سبحانه وتعالى، وله التصرف في حُكْمِهِ =

= وفي شرعه جل وعلا، ولكن للعب على المسلمين وللطعن عليهم وللتشكيك فيما جاء به نبيهم عليه الصلاة والسلام، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فالمصرف هو الله سبحانه وتعالى يولي من يشاء ما يشاء جل وعلا.

ثم بين سبحانه وتعالى أنه جعل هذه الأمة وسطاً، يعني: عدلاً خياراً، حتى تشهد على هذه الأمة بأن الله بلغها، وحتى تشهد على الأمم الماضية بأن الرسل بلغت؛ فهي أمة عدل لما أعطاهم الله من الإيمان والاستقامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمراد بذلك أن يستفاد منهم لأنهم أمة وسط، والخطاب لأهل الاستقامة الذين جعلهم الله وسطاً وعدلاً وخياراً، قال فيهم سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهؤلاء مستشهدون على هذه الأمة وعلى غيرها من الأمم أنها بلغت، وأن الرسل عليهم الصلاة والسلام قد بلغوا، والرسول شهيد على هذه الأمة =

= أنه بلَّغها، وأنه أُرِيسَلَ إليها عليه الصلاة والسلام، وفي هذا بيان لحال اليهود وخُبثهم وضلالهم، وجنس أهل الكتاب مطلقاً، وأنهم يعرفون الحق ويكتمونه على بصيرة، ولكن ربُّنا جل وعلا يُملي ولا يأخذ، فأملَى لهم كثيراً، وأمهلهم كثيراً، وعاقبهم كثيراً سبحانه وتعالى.

وهذا يدل على أن الإنسان ينبغي له أن يحذر مشابهة أهل الكتاب في جحد الحق وهو يعلم؛ اتِّباعاً لهواه وإيثاراً لديناه وشيطانه، واتِّباعاً لما تُمليه عليه نفسه الأمَّارة بالسوء، أو إيثاراً لحظَّ عاجل يريد أن يحصِّله في جحده الحقَّ وعدم إقراره به، كما هو ديدَن اليهود، وديدن رؤساء النصارى وقادتهم وأشباههم من دُعاة الباطل، فكثير منهم يعلم الحق وينكره لأسباب كثيرة، منها: الحسد والبغي، واتِّباع الهوى، وطاعة الرؤساء والأكابر، وطلب الحظ العاجل في الدنيا، ومنها الرشوة إلى غير ذلك.

ففي هذا تحذير من أن يعمل الإنسان مثل عمل أعداء الله من اليهود والنصارى أو غيرهم في إيثار الباطل، وفي جحد الحق، وفي =

= إنكار ما جاءت به الرسل من الهدى، من أجل بعض الحظوظ العاجلة، نسأل الله السلامة والعافية.

وفي هذا بيان أن اليهود كانت تعرف رسول الله، وتعرف الحق كما تعرف أبناءها، ولكن حملهم البغي والحسد على إنكار الحق وعلى جرده، حتى لا يقول لهم عامتهم: لماذا تعرفون الحق وتُقرُّون به، ثم لا تتبعون هذا الحق ما دتم تعرفون أن محمداً حق، وأنه رسول الله حقاً؟! فهم يجحدون هذا؛ لئلا يُقال لهم هذا الكلام، ولئلا يُحاجَّهم أتباعهم ورِعاعُهم وعاتمهم فيما أقرُّوا به من الحق.

ففي هذا دعوة للمسلمين وحثُّهم على الانطلاق على الطريق السوي، وعلى عدم اتِّباع الهوى، وأن أهل الإيمان إذا اتَّبَعُوا أهواءهم واتَّبَعُوا أهواء أهل الكفر بالله من اليهود وغيرهم هلكوا وضلُّوا، فالواجب هو اتِّباع الحق، ولن يرضى عنا مشركٌ قط إلا باتباع ما هو عليه من الباطل، وإذا اتبع المسلمون أهواء أعداء الله هلكوا وضلُّوا عن سواء السبيل، واتباع أهواء الكفار تارة يكون ردةً، وتارة يكون معصيةً، وتارة يكون دون ذلك.

= فالحاصل أن الواجب على أهل الإيمان الحذر من اتّباع الهوى، سواء كان الهوى لزيد أو عمرو أو اليهود أو النصارى أو غير ذلك، وأن يكون هدفه اتّباع الحق، سواء كان الحق مع أصحابه وأوليائه، أو كان مع خصومه وأعدائه، فهو يُؤثر الحق ويقبله ممن جاء به مطلقاً، وهذا هو الدليل على سلامة الفطرة وسلامة القصد، رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

## [فضل الصابرين والمقاتلين في سبيل الله]

❁ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ  
 إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
 أَمَاتٌ ۗ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ  
 الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ  
 الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ  
 رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَئِكَ  
 هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ❁ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَابِرِ اللَّهِ ۗ فَمَنْ  
 حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۗ وَمَن  
 تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا  
 مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ  
 أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا  
 وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ  
 ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ  
 وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ

الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١١٢﴾ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
 الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ  
 اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا  
 أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا  
 مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ  
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١٤﴾ [البقرة: ١٥٣-  
 ١٦٤]. [٤]

[شرح ٤] في هذه الآيات الكريبات من العِظَة والذكري والدلائل  
 العظيمة على وجود الله وقدرته واستحقاقه العبادة سبحانه وتعالى،  
 وعلى فضل الصبر وفضل الصابرين، وعلى أن الله سبحانه قد يتلى  
 بعض عباده بشيءٍ من النقص، وأن لهم الفضل العظيم والعاقبة  
 الحميدة إذا صبروا، وفيها الدلالة على الدعوة إلى مكارم الأخلاق  
 ومحاسن الأعمال، وهكذا كتاب الله جل وعلا كله دعوة إلى الخير  
 وتحذير من الشر، وبيان لأحكام الله، وحثُّ على التزامها، وتحذيرٌ  
 مما نهى عنه جل وعلا.

ففي هذه الآيات يأمر سبحانه بالاستعانة بالصبر والصلاة عند =

= المُلَمَّات، وأن الشدائد والكُربات والحاجات التي تنزل بالعبد ينبغي له أن يستعين فيها بالصبر والصلاة، بالصبر على ما ينبغي فيها من أدائها بكل نشاطٍ وقوة، واستكمال ما ينبغي فيها، والحرص على أن تكون على الوجه الذي شرعه الله جل وعلا، فإن الصبر عونٌ للعبد على المهِّمَّات، من جلبٍ مطلوبٍ ودفعٍ مكروه. يُروى عن عمر رضي الله عنه وأرضاه أنه قال: وجدنا خيرَ عيشنا بالصبر<sup>(١)</sup>. ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبرَ له<sup>(٢)</sup>.

فالصبر له شأن عظيم، وقد ذكره الله في مواضع كثيرة من كتابه، قال بعض السلف: إنه ذُكر في أكثر من تسعين موضعاً من كتاب الله، ومن هذا قوله جل وعلا هنا: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ فأمَرَ بالاستعانة بالصبر والصلاة، ثم أخبر أنه مع الصابرين سبحانه وتعالى، =

(١) علَّقه البخاري، باب الصبر عن محارم الله، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، قبل الحديث (١٤٦٩).  
 (٢) أخرجه عبد الرزاق (٢١٠٣١)، وابن أبي شيبة (٣٠٤٣٩).

= وهذه معية خاصة تقتضي توفيق الصابرين ونصرهم وإعانتهم وتسديدهم إلى غير ذلك، كما في قوله ﷺ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ [طه: ٤٦]، وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، إلى غير ذلك. فالمقصود أن المعية الخاصة لها شأن غير المعية العامة، فالصابرون هم أهل التقوى والإيمان والثبات على الحق، وينال غيرهم من أعدائهم من فضل الصبر شيء كثير؛ فالصبر ثبات واستمرار على الحق، وهو الحرص على الأخذ بأسبابه، فإذا أخذ بها أهل الإيمان نجحوا وأفلحوا، وإذا أخذ بها غيرهم فقد يُنصرون بها على ضدهم، فينبغي على أهل الإيمان أن يكونوا أصبر الناس وأثبتهم على حقهم، وعلى الدفاع والذَّب عنه، وعلى إنكار الباطل ومحاربتة، فإذا كان غيرهم قد يصبرون وهم على باطل، فأهل الإيمان والتقوى أولى بالصبر على حقهم والثبات عليه.

ثم فيه أيضاً الدلالة على أن العباد قد يُبتَلون بالنقص في الأموال والأنفس والثمرات، وقد يُبتَلون بشيء من الخوف والجوع، وهذا قد يقع لأولياء الله وأنبيائه، فأشد الناس بلاءً =

= الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، فالنبيُّ قد يُبتلى،  
والصالح قد يُبتلى، فينبغي أن يقابل ذلك بالصبر والثبات على الحق  
والحذر من الباطل، والأخذِ بالأسباب التي تعين على الصبر وعلى  
الحق وعلى ترك الباطل. والصابر: هو الذي يحبس نفسه على الشيء  
المطلوب، وعلى ترك الشيء المكروه، ويجاهدها حتى يقطع المسافة  
وينتهي وقت الخطر.

ثم بين جل وعلا ما للصابرين من الخير فقال: ﴿وَبَشِّرِ  
الصَّابِرِينَ﴾ فهذه بشرى من الله جل وعلا، لما لهم عنده من  
الصلوات والرحمة والهداية، وهذا من جزائهم؛ أن الله جل وعلا  
يثني عليهم في الملأ الأعلى ويرحمهم برحمته العظيمة الخاصة،  
ويهديهم سبحانه وتعالى، يروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال: نِعَمَ العِدْلانِ  
ونِعَمَتِ العِلاوة<sup>(١)</sup>. العِدْلان: الصلاة والرحمة، والعلاوة: الهداية،  
فينبغي للمؤمن أن يجاهد نفسه في هذا الباب وغيره من أبواب  
الخير، وأن يتحرى ما شرعه الله له في جميع أموره وشؤونه، وأن =

(١) علقه البخاري في «صحيحه»، باب الصبر عند الصدمة الأولى، قبل الحديث (١٣٠٢).

= يحذر الجزاء وعدم الصبر في جميع الأمور، ومن ذلك ما يُبتلى به من موتٍ قريبٍ وصديقٍ ونحو ذلك، وما يُبتلى به من مرضٍ أو فقرٍ أو ما أشبه ذلك، فليعالج بالصبر وليأخذ بالأسباب، والصبر: حبسٌ على الحق وكفٌ عما سواه مع الأخذ بالأسباب؛ كعلاج المريض وعلاج الفقر وعلاج الأشياء الأخرى التي يُبتلى بها، فيعالجها بما شرع الله جل وعلا، فيعالج ما يبتلى به من معاصٍ بالتوبة والندم والإقلاع، ويعالج المصائب التي تصيبه كالمريض بالدواء، وكالفقر بالأخذ بأسباب العيش المباحة، ويعالج البدع بإنكارها والحذر منها، والدعوة إلى السنة، ويعالج الكفر بالتحذير منه والدعوة إلى التوبة والإسلام، وهكذا المؤمن في جميع أحواله يعالج المشاكل بما شرع الله له من الدواء والعلاج، ويصبر على الحق ويثبت عليه، ويأخذ بالأسباب التي تعينه للثبات على الحق وعلى محاربة الباطل.

وفي هذه الآيات أيضاً الدلالة على وجوب إظهار الحق وبيانه، وأن إظهار الحق أمرٌ لازم، وأن كتمانته من الكبائر ومن صفات =

= اليهود الخبثاء، فالمؤمن يُجاهد نفسه في إظهار الحق والدعوة إليه والصبر على ذلك، ومع ذلك يحذر الكتمان في أي شيء، وإذا وقع منه شيء من ذلك بادر بالتوبة والإصلاح والبيان.

ويبين الرب سبحانه وتعالى أن التوبة من تمامها ومن شرطها: الإصلاح والبيان، فمن تاب مما مضى من سيئاته يجب عليه أن يصلح أموره، ويُتبع التوبة بالإيمان الصادق والعمل الصالح وبيان الحق، قال: ﴿وَبَيِّنُوا﴾ فلا بُدَّ من إظهار الحق والدعوة إليه، ولا بد في التوبة من إتباعها العمل الصالح، ولا بد من إتباعها البيان، فإذا كانت توبة من كتمان فلا بد من بيان حتى يعلم أنه رجع عن باطله، وأنه ثبت على الحق وصار إليه، بخلاف اليهود وأشباه اليهود، فإنهم يرون إظهار الحق والتوبة نقصاً عليهم، فيستمرون في كتمان الحق وإنكاره؛ لأجل تثبيت أهوائهم وأغراضهم الخسيسة، فلا ينبغي للمؤمن أن يتشبه بأعداء الله في كتم الحق وعدم إظهاره لغرض من الأغراض، ولا ينبغي له أن يستحيي من الرجوع إلى الحق، فالرجوع إليه فضيلةٌ وحقٌّ، والبقاء في الباطل رذيلةٌ وذُلٌّ =

= وهو أن وتعرض لسخط الله ﷻ، فلا بد من الرجوع إلى الحق، ولا بد من الحذر من الباطل، حتى تسلم من غضب الله وعقابه، وحتى تفوز بأسباب الكرامة والعاقبة الحميدة.

وفي قوله جل وعلا: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّا نَعْبُدُكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ دلالة على استحقاقه للعبادة، وأنه الرب العظيم، وأنه المانع القادر، وأنه الرحمن الرحيم، وأنه المالك لكل شيء، وأنه المتصرف في شؤون عباده، وأن العبادة حقه سبحانه وتعالى.

ولهذا ذكر بعد ذلك الدلائل على وجوده وربوبيته فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ إلى آخر الآية، فذكر أشياء عديدة تدل على قدرته العظيمة من اختلاف الليل والنهار، واختلاف السماء والأرض، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس من الأرزاق والحاجات الأخرى، فكلها من فضله وإحسانه جل وعلا، فالذي خلق السماوات والأرض وجعل الليل والنهار مختلفين، وثبت هذه الجواري في البحار من مواخر وسفن وغير ذلك، وثبت هذه الطائرات في الجو، وأعطى =

.....

= العباد ما أعطاهم من المراكب، كل ذلك يدل على استحقاقه العباد، وأنه الخلاق العليم، وأنه قادر على كل شيء، وهكذا تصريف الرياح، وهكذا السحاب المسخر بين السماء والأرض، وهكذا ما بث في الأرض من دواب، وهكذا ما فيها من معادن وجبال وأنهار وبحار، كل هذه دلائل على قدرته العظيمة، وأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم.

فينبغي للمؤمن أن يتفكر وينظر كثيراً في مخلوقات الله وما فيها من الدلائل على عَظَمَتِهِ سبحانه، كما ينظر كثيراً في شرعه وما أَمَرَ به من أحكام؛ لما فيها من الدلالة على حكمته العظيمة، وعلى علمه العظيم، وعلى أنه سبحانه شرع لعباده ما فيه صلاحهم ونجاتهم، واستقامة أخلاقهم وحالهم مع ربهم ومع الناس.

ومن تدبر ونظر رأى العِبْرَ، ورأى الفوائد العظيمة، وكان هذا من أسباب صلاح قلبه وصلاح أعماله، قال بعض السلف: من كانت له فكرة كان له في كل شيء عبرة. فالتفكر والنظر في مخلوقات الله وما أودع في الأرض والسماء، والتفكر في نفسك وما =

= جعل فيك من عجائب وآيات وعِبر، والتفكر في غيرك، كل ذلك من الدلائل على عَظْمَةِ خالِقِك سبحانهِ وتعالى، وعلى أَنه رَبُّ الجميع، وعلى أَنه الإله الحق، وَأنه مستحق العبادَةِ، وَأن العبادَةَ لغيرهِ كفرٌ وضلال.

## [التوجيه إلى مكارم الأخلاق]

\* قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿ ١٦٦ ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۗ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿ ١٦٧ ﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿ ١٦٨ ﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿ ١٦٩ ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ۗ أُولَٰئِكَ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿ ١٧٠ ﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۗ صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ ١٧١ ﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿ ١٧٢ ﴾

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ  
 لِغَيْرِ اللَّهِ<sup>٥</sup> فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ<sup>٦</sup> إِنَّ اللَّهَ  
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ  
 الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ<sup>٧</sup> ثَمَنًا قَلِيلًا<sup>٨</sup> أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي  
 بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا  
 يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا  
 الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ<sup>٩</sup> فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى  
 النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ<sup>١٠</sup> وَإِنَّ الَّذِينَ  
 اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴿١٧٦﴾ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا  
 وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ  
 ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي  
 الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا  
 عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ<sup>١١</sup> أُولَئِكَ الَّذِينَ  
 صَدَقُوا<sup>١٢</sup> وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴿البقرة: ١٦٥-١٧٧﴾. [٥]

[شرح ٥] في هذه الآيات التوجيه إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن =

= الأعمال، والتحذير من سفاسف الأخلاق، وسيئ الأعمال، وفيها الدعوة إلى القول بالعلم والأخذ به، والحذر من التقليد الأعمى الذي يشبه صاحبه البهيمه، وينقاد لكل ناعق، ولا يعرف حقاً ولا باطلاً بدليله، وهذه حال أعداء الله من المشركين ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وفي هذا يقول جل وعلا: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۗ صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

والمعنى: أنه ليس لهم عناية بالفهم ولا بالدليل، ولكنهم كالبهائم التي يُنعق لها يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ فليس عندهم إلا اتباع الأسلاف والأجداد والأصحاب والأصدقاء وما أشبه ذلك.

فالمؤمن مأمور بأن يتبع ما أنزل الله، ويأخذ بالحق ويلزمه وإن خالف آباءه وأجداده وأسلافه، وإن خالف عادة بلده وقومه، =

= ويدع الباطل وإن كان عليه أسلافه؛ لأن الله بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام لبيان الحق والدعوة إليه، وإنكار الباطل والنهي عنه، فليس لأحد أن يعرض عما جاءت به الرسل، ويقول: هذا كلام أبي وجدي، أو عادة قومي، بل يجب عليه أن يقصد الحق ويطلبه، وأن يعمل به مع من كان ومن كان، ولا يتقيد بأنه قال فلان أو ذهب إليه فلان أو ما أشبه ذلك.

وفي الآيات المذكورات أيضاً الدلائل على أن الأصل في الأشياء الحل والإباحة ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾ والخطوات: هي ما يدعو إليه من الباطل، فالواجب على المؤمن أن يحذر خطواته، وأن يأخذ بما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من الهدى والعلم.

وبيّن جل وعلا أن الشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر، ويدخل في هذا كل ما نهى الله عنه من الشرك وما دونه، ومن خطواته: الدعوة إلى القول على الله بغير علم، والله حرّم ذلك كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ =

= وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿[الأعراف: ٣٣]﴾، فجعلها في المرتبة العليا فوق الشرك؛ لأن المشرك قد قال على الله بغير علم، وهكذا كل كافر وكل مخالف للحق قال على الله بغير علم، فالواجب على المكلفين قبول الحق والأخذ به والحذر من القول على الله بغير علم، وهذا يوجب النظر في الدليل والعناية بما جاءت به الرسل ولا سيما نبينا محمد ﷺ وهو نصيبنا وحظنا. فإن لم يكن عند الإنسان علم فعليه أن يقول: الله أعلم، ويقول: لا أدري، ولا يتكلم بلا علم، فإن القول على الله بغير علم يوقع في شر كثير، في كفر ومعاصٍ وضلال وتحليل ما حرم الله، إلى غير ذلك، وهذا ما يدعو إليه الشيطان، فهو يدعو الناس إلى أن يقولوا على الله بغير علم حتى يكثروا الباطل وتكثروا البدع والأهواء، وحتى يقل الحق.

وفي هذه الآيات أمر الله تعالى بالأكل من الطيبات مع الشكر فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ﴾ فالواجب شكر الله على =

= نِعْمه، وإن كان الأصل في الأكل من الطيبات هو الإباحة إلا أن الإنسان مأمور بأن يأكل مما رزقه الله حتى يحفظ قوّته وصحته، ويستعين بنعم الله على طاعته، فالأكل يكون حلالاً ويكون مباحاً ويكون مستحباً ويكون واجباً، ولهذا أطلق الله الأمر بذلك ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فقد يكون الأكل عليه واجباً إذا كان تركه يُفضي إلى هلاكه، وقد يكون مستحباً إذا احتاج إلى ذلك، وقد يكون مباحاً على حسب حاجة العبد.

فالحاصل أن الله أباح لنا الأكل من الطيبات وأمرنا بالشكر ووجب علينا أن نشكره سبحانه، وشكره يكون بالقيام بحقه قولاً وعملاً وعقيدةً، وهذا مثل قوله جل وعلا: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، فلو أن أحداً يُسامح من العمل لكانت الرسل أولى بذلك، لأنهم خير الخلق وأفضلهم، وأعلم الناس بالله، ومع هذا أمروا بالعمل ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾، وهكذا قال للمؤمنين: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ والشكر هو =

= العمل ﴿أَعْمَلُوا أَلَّا دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، والعمل يكون بالعقيدة الطيبة الموافقة لشرع الله، ويكون بالقول الطيب الموافق لشرع الله، ويكون بالعمل الصالح الموافق لشرع الله، فالقول وحده لا يكفي، فلا بد من قول طيب ولا بد من عقيدة طيبة ولا بد من عمل طيب، بأداء ما أوجبه الله وترك ما حرّمه الله، فالشكر يكون باللسان ويكون بالقلب ويكون بالعمل، أما الشكر باللسان: فهو الثناء على الله جل وعلا بما هو أهله سبحانه وتعالى، وعمل ما أمر به والنهي عما نهى عنه، والإكثار من ذكره إلى غير ذلك، والشكر بالقلب: محبة المنعم والإخلاص له وخوفه ورجاؤه، واعتقاد ما أباح وما أحلّ وما أوجب إلى غير ذلك، والشكر بالعمل: أداء ما أوجب الله واجتناب ما حرم الله.

ثم ذكر بعد ذلك شدة الوعيد في حق من كتم ما أنزل الله، وما وُعدوا من البلاء والعذاب بسبب كتمانهم الحقّ ليشتروا به ثمناً قليلاً، والشراء هنا ليس معناه الشراء الاصطلاحي عند الفقهاء (البيع والشراء)، وإنما المقصود به: الاعتياض، كما في قوله ﷻ: =

= ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهَوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]، يعني: يعتاض ولو دون بيع وشراء، فالمقصود أن اليهود وأشباه اليهود ممن كتّم الحق، ليعتاضوا عنه شيئاً من الباطل، وسمي شراءً لأن الشراء معاوضة، فهو اعتاض عن الحق الذي كتّمه دياثة أو جحوداً أو عروضاً أو غير ذلك مما يُعطأها كاتم الحق من اليهود وغيرهم.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ﴾ إلى آخر الآيات، وهذه فيها أيضاً بيان الإيمان وأنه أقوال وأعمال وعقيدة، فالإيمان عند أهل السنة قولٌ وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ويعبرُ بعضهم بقوله: قولٌ باللسان وعملٌ بالأركان وعقيدةٌ بالجنان، فقول القلب: إقراره واعترافه، وقول اللسان: نُطقه، وعمل القلب: بخوفه ورجائه ومحبته وإخلاصه إلى غير ذلك، وعمل الجوارح: بأداء الفرائض وترك المحارم إلى غير ذلك.

أما مفهوم الإيمان عند أهل البدع، فهو عند بعضهم: القول فقط، وقال بعضهم: المعرفة فقط، وقال بعضهم: القول والكلام فقط، وقال بعضهم: قول وعمل ولكن لا يزيد ولا ينقص، =

= كالجوارح والمعتزلة، بخلاف أهل السنة والجماعة الذين قالوا:  
قول وعمل يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

وهذه الآية تدل على قول أهل السنة والجماعة، فقد ذكر فيها  
الإيمان وذكر فيها العمل، فذكر من آمن بالله واليوم الآخر  
والملائكة والكتاب والنبين، هذه عقيدة القلب، ثم قال: ﴿وَعَائِي  
أَمْأَلٍ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ  
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ  
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ إلى آخره، هذه هي الأعمال التي تدل  
على أن الإيمان قول وعمل ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ  
الْبَأْسِ﴾ وهذا أيضاً من عمل القلب والجوارح جميعاً.

ثم قال بعد: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾  
فدل على أن الصادقين المؤمنين المتقين هم أهل القول والعمل، فهم  
أهل العقيدة الصادقة والعمل الصالح، فالمتقي الصادق المؤمن هو  
الذي يجمع بين هذه الأمور؛ يقول بلسانه، ويعتقد بقلبه الحق،  
ويعمل بجوارحه حسب طاقته. بخلاف الكذابين والمُقتصرين، =

= فالمنافق يقول ولا يعمل، ليس بصادق، وليس عنده عقيدة، وإنما يقول فقط لِحَظَّةِ العاجل ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، هذا شأن المنافقين وأشباههم من العصاة، يقول ويعتقد ولكن لا يعمل، بل يطيع هواه، فتجده مقصراً فيما أوجب الله، تاركاً لبعض ما أوجب الله، فاعلاً لبعض ما حرمه الله عليه من الفواحش والمنكرات، فهذا من ضعف إيمانه وقلة بصيرته، وقع فيما وقع فيه من الباطل فصار إيمانه ناقصاً ودينه ضعيفاً، بسبب أنه ليس عنده من الإيمان القوي والتصديق بالله وأمره ونهيه ما يجعله يدع ما حرمه الله عليه، ويؤدي ما أوجبه الله عليه بتمام.

فما حصل عنده من الضعف في التصديق والإيمان والرغبة فيما عند الله، والشوق إليه جل وعلا، والإيمان بما أخبر به سبحانه وتعالى من الوعد لأهل الإيمان، والوعيد لأهل الكفر والنفاق، لَمَّا ضَعُفَ هذا في قلبه حصل عنده ما حصل من النقص، وقد جاء حديث أبي هريرة في «الصحيحين» يدل على هذا المعنى حيث قال =

= عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «بضع وستون شعبة»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية مسلم: «أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»<sup>(٣)</sup>.

هذا الحديث يدلُّ على ما قال أهل السنة والجماعة من كون الإيمان قولاً وعملاً يزيد وينقص؛ فبالأعمال الصالحات يزداد وبالغفلة والإعراض والمعاصي ينقص، فالواجب على المسلم أن يعنى بهذا الأمر، وأن يحذر من نقص إيمانه، وضعف إيمانه في إقدامه على ما حرم الله، أو تساهله بما أوجب الله، أو غفلته عما يجب عليه.

ومن أسباب هذا الخير التواصي بالحق والتناصح فيما بين المسلمين، والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الإنسان يغفل أو يجهل، فإذا وجد من إخوانه من ينصحه ويذكره ويشجعه على الحق ويحذره من الباطل ويزجره عنه =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٣٥).

(٢) أخرجه البخاري: الإيمان (٩)، ومسلم: الإيمان (٣٥).

(٣) أخرجه مسلم: الإيمان (٣٥).

= ويبين له سوء مغبته صار بذلك من أسباب رجوعه إلى الحق،  
ومن أسباب نشاطه في الخير، ومن أسباب تركه لما حرّم الله.

وأما الغفلة وقلة الداعي وقلة المنكر للمُنكر وقلة الأمر  
بالمعروف، فإن هذا مما يزيد الباطل باطلاً ويزيد الغفلة غفلةً ويزيد  
الكسل كسلاً ويزيد المقصر تقصيراً إلى غير ذلك، ولا حول ولا  
قوة إلا بالله.

## [حکم وأسرار خلق الأهلّة]

\* قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ۗ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ  
 وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ  
 مَنِ اتَّقَى ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ  
 تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا  
 عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ  
 وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۗ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ  
 عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ ۗ فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ  
 كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنَّهُوَا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ  
 ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۗ فَإِنْ أَنَّهُوَا فَلَا  
 عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ  
 قِصَاصٌ ۗ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى  
 عَلَيْكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَانْفِقُوا فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۗ وَأَحْسِنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَاتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۗ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ

مِنَ الْهُدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهُدْيُ مَحَلَّهُ، ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ، فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِيتُمْ فَمَن تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهُدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۗ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَوْلَىٰ ﴿١١٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِّن عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۗ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾

[البقرة: ١٨٩-١٩٩]. [٦]

[شرح ٦] في هذه الآيات الكريبات فوائد عظيمة وأحكام كثيرة، يعرفها طالب العلم بالتدبر والتعقل لهذه الآيات العظيمة، =

= وتُعرف أيضاً بدرّس ذلك من كتب التفسير، ولكن نذكر بعض ما اشتملت عليه من بعض الأحكام:

يقول الله جل وعلا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ۗ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ ﴿يُبَيِّنُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ هَذِهِ الْأَهْلَةَ لِحُكْمٍ وَأَسْرَارٍ، ذَكَرَ مِنْهَا أَنَّهَا مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ، بِهَا تُعْرَفُ الشُّهُورُ وَالسُّنُونَ، وَيَعْرِفُ النَّاسُ آجَالَ دِيُونِهِمْ، وَعَدَّةَ نِسَائِهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً عَبَثاً وَلَا سُدىً، بَلْ كُلُّ مَا خَلَقَ وَكُلُّ مَا شَرَعَ هُوَ لِمَحْضِ الْحِكْمَةِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُمْ سَأَلُوهُ عَنِ الْأَهْلَةِ كَيْفَ تَطْلُعُ ضَعِيفَةٌ دَقِيقَةٌ، ثُمَّ تَنْمُو حَتَّى تَمْتَلِئَ وَيَكُونَ نُورُهَا، ثُمَّ تَضَعُفُ بَعْدَ ذَلِكَ، إِلَى آخِرِهِ، وَقِيلَ: سَأَلُوهُ عَنِ حِكْمَةِ ظُهُورِهَا وَغُرُوبِهَا. فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ الْحِكْمَةَ تَتَحَقَّقُ بِكَوْنِهَا مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ، يَعْرِفُ النَّاسُ بِهَا مَوَاقِيتَ مَعَامِلَاتِهِمْ وَدِيُونِهِمْ وَحُقُوقِهِمْ وَعِدَّةَ نِسَائِهِمْ وَوَقْتَ الْحَجِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

ثم يُبَيِّنُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ لَيْسَ الْبِرَّ بِأَنْ نَأْتِيَ الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا، =

= وليس البرَّ بأن نُوجِّه وجوهنا قِبَل المشرق في آية أخرى، ولكن البرَّ هو التقوى والإيمان، ففي هذه الآية: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ وفي الآية السابقة: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية، فيبين سبحانه أن البرَّ ليس بأن يُويَّ العبد وجهه هاهناك أو هاهنا، ويدخل من هذا الباب أو ذاك، أو من ظهر البيت، ولكن البر هو إيمانه بالله وتقواه لله سبحانه وتعالى، وأن يكون عبداً مأموراً، وأن يكون مطيعاً لله ولرسوله ﷺ، مهما أُمرت ائتمرت، ومهما نُهيئت انتهيت، وذلك عن إخلاص وعن إيمان، لا عن هوى وأغراضٍ خاصة، ولا عن تقليد أعمى، فهذا هو البرُّ، وهذا هو الإيمان، وهذا هو الدين.

ومن فوائد هذه الآيات قوله جل وعلا: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ للناس في هذه الآية تفسيران:

أحدهما: أنه يُراد بذلك أننا نقاتل من قاتلنا، ونكفَّ عن من كفَّ عنا، كما هو الحال في أول الأمر، فقد كان المسلمون يقاتلون =

= من قاتلهم ويكفون عن من كف عنهم، كما قال جل وعلا في سورة النساء: ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٩٠]، ثم نسخ ذلك في الآيات الأخرى التي بعدها: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٣] والآية في سورة التوبة: ﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة: ٥].

فمتى نكف عنهم؟ قال: إن تابوا من الشرك، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، فخلوا سبيلهم، فدل ذلك على أنه لا يكف عنهم إلا إذا تابوا من شركهم وأدوا حق الله، أو أدوا الجزية كما ورد في الآية الأخرى في أهل الكتاب: ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩] من أهل الكتاب ومن يلحق بهم من المجوس، هذا أحد القولين وهو قول جيد. وقال: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ أي: ولا تبدؤوهم بقتال وهم ما بدؤوه.

= والقول الثاني: أن الآية الكريمة ليست في هذا المعنى، وأن المراد: قَاتِلُوا مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلْقِتَالِ وَمُسْتَعِدٌّ لِلْقِتَالِ، وهم الرجال الكبار، بخلاف النساء والصبيان والشيوخ العاجزين وأشباههم، فَإِنْ هُوَ لَيْسَ أَهْلٌ قِتَالًا، قالوا: ويدلُّ على هذا أنه قال بعد ذلك بقليل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ فدلَّ هذا على أن المراد بذلك قتال من هم من أهل القتال، وليس المراد قتال من قاتل والكف عمن كفَّ، فهذا أمر قد مضى وانتهى، ومن هذا قوله في سورة الأنفال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وهي الشرك، وتطلق الفتنة أيضاً على الكفر والردة عن الإسلام، فالمعنى: قاتلوهم حتى تزول فتنتهم لكم بإيقاعكم في الشرك، وحتى يزول الشرك نفسه بالتوبة إلى الله ﷻ، وذلك ليكون الدين كله لله ويعبد الناس الله جل وعلا ويدعوا ما هم عليه من الباطل والشرك.

ولا منافاة بين القولين؛ فقد استقرت الشريعة على أن المسلمين يقاتلون من قاتلهم ويبدؤون من لا يقاتلهم إذا كانت لهم =

= القوة؛ لأنهم يدعون إلى الجنة، ويدعون إلى النجاة، ويدعون إلى صلاح المجتمع، ويدعون إلى عمارة هذه الدنيا بطاعة الله ورسوله وتوحيده سبحانه وتعالى، فلهم أن يبدؤوا ولهم أن يقابلوا.

وأما قول من قال من الكتاب: إن الإسلام يُدافع فقط ويقاقل مَنْ قاتل فقط، على هذا الإطلاق، فهو خطأ من قائله، إنما كان هذا في فترة من الزمان وفي وقت من الأوقات كان يدافع فقط، ويكف عمن كف، ثم لما قوي المسلمون وفتح الله عليهم مكة، وصارت لهم شوكة عظيمة وقدرة على قتال أعداء الله خرجوا لقتالهم؛ فخرجوا مع النبي ﷺ لقتال الروم في غزوة تبوك، وقاتلوا أهل خيبر عام سبع من الهجرة، وخرج المسلمون بعد وفاته ﷺ إلى الروم وإلى فارس وقاتلوا أعداء الله ولم يقفوا عند حدّ الدفاع فقط، فالإسلام ليس دين دفاع ولكنه دين دفاع وبدء وهجوم لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولإخراجهم من الباطل إلى الحق، لدعوتهم إلى ما فيه نجاتهم وسعادتهم، والحكم بينهم بما فيه الخير لهم والصلاح والسعادة العاجلة والآجلة، فكيف يكون دين دفاع =

= فقط؟! هذا خطأ كبير، ثم هذا مخالف لهذه الآيات الكرييات، فكلها تتفق على أن القتال يستمر ﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ ﴾ فعلم بذلك أنه يقاتل فداءً لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولإنقاذهم من الجور والظلم - ظلم الأديان وظلم الظلمة - إلى عدل الإسلام ونوره وسعته، وإلى الحق والهدى، وأن به نجاتهم وسعادتهم في العاجل والآجل، وهذا هو الصواب، فالجهاد له أطوار:

الطور الأول: الجهاد فقط.

والطور الثاني: قتال من قاتل والكف عن كف وجوباً.

والطور الثالث - وهو أعلى الأطوار -: القتال ابتداءً لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإنقاذهم من الباطل، ولإخراجهم من حكم الجورة والظلمة وضيق الدنيا إلى عدل الإسلام وسعته، وإلى أسباب النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

وإذا كان الكفرة يقاتلون الناس لمصالحهم العاجلة، ويستعبدونهم ليأخذوا ثروات بلادهم ويظلموهم، فكيف =

= يستنكرون على الإسلام وكيف يعيرون الإسلام بالبدء بالقتال لإخراج الناس من الظلمات إلى النور لنفعمهم ولمصلحتهم، لا لمصلحة المسلمين، ولا لأجل الطمع في الدنيا؟! إنما قاتلوا أعداء الله لإخراجهم من الظلمات إلى النور لا لأجل المال، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لعلي رضي الله عنه لما بعثه إلى خيبر: «والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُر النعم»<sup>(١)</sup>، يبين للناس أن المقصود ليس هو المال ولا النساء ولا الذرية، إنما المقصود هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ولهذا هداية الواحد خير من الدنيا وما عليها. وفي الحديث: إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله<sup>(٢)</sup>، كما في حديث بريدة، ثم يأمره أن يستعين بالله ويقاتل الكفرة، ثم بعد ذلك إذا أبوا إلا الجزية أخذ منهم الجزية وكف عنهم.

وهذا - عند العلماء - في اليهود والنصارى والمجوس، لأن الرسول ﷺ أخذها منهم، وما سواهم يُقاتل حتى يدخل في =

(١) أخرجه البخاري: المناقب (٣٧٠١)، ومسلم: فضائل الصحابة (٢٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم: الجهاد والسير (١٧٣١).

= الإسلام؛ لأن الرسول ﷺ لم يأخذ من أهل الجزيرة جزية بل قاتلهم حتى دخلوا في دين الله، فقاتل أهل مكة، وقاتل الصحابة بني حنيفة ولم يأخذوا الجزية ولم يرضوا بذلك ولم يدعوهم إليها، بل يدعوهم إلى الدخول في دين الله، فالجزية تؤخذ من اليهود والنصارى بنص القرآن، ومن المجوس بنص السنة، أما ما سواهم فلا تؤخذ منهم الجزية عند أكثر العلماء، وقال آخرون: بل يلحق بقية الكفرة إذا أدوا الجزية لحديث بُريدة المتقدم.

والحاصل أن الإسلام ليس دينَ دفاع فقط، إنما كان دين دفاع عند العجز والضعف، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن الآية لم تُنسخ، وآيات الدفاع لم تُنسخ، ولكن المسلمين هم حالات: حالة تكون عندهم قوة ونشاط وعددٌ وعدة، فلهم حينئذ أن يدافعوا وأن يبدؤوا، وحالةٌ أخرى يكون عدوُّهم مسيطراً عليهم وليس عندهم من القوة ما يقابل، ويُخشى عليهم من أن يستبيح العدو غيرتهم، ففي هذه الحالة يكتبون بالدفاع، والدليل الذي يقطع بالدفاع هو حال المسلمين في أول الإسلام وقبل أن يقولوا كانوا يدافعون فقط.

= وهذا هو أصل المقال، وهو الحق الذي ينبغي أن يُعلم، وقد أوضح هذا المعنى جماعة من أهل العلم منهم أبو العباس ابن تيمية رحمته الله في كتابه «الصارم المسلول للرد على شاتم الرسول» وغير ذلك، ومن تدبر كتاب الله وجد ذلك، وقد كتب الناس في هذا كتابات كثيرة لبيان هذا الحق وإيضاحه، ومن ذلك أني كتبت رسالة مختصرة في هذا السبيل لإيضاح هذا الحق وبيان وجه الصواب فيه، وقد طُبعت.

ومن أحكام هذه الآيات العظيمة: بيان حُكم الإحصار، وأن المُحصَر إذا أُحصِرَ يحل: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ فإذا أُحصِرَ المسلم قاصد الحج والعمرة فإنه يحل وينحر هدياً ويحلق ويرجع إلى بلاده. وقد وقع هذا للنبي صلى الله عليه وسلم، فأحصره أهل مكة في عام ست من الهجرة، ولم يمكِّنوه من دخول مكة، فنحر هديه وحلق رأسه، وهكذا فعل أصحابه، ثم رجعوا إلى المدينة بعد ما تمت القضية بينهم على أن يعتمروا في العام القادم، وسميت هذه =  
عمرة القضاء.

= فالمقاضاة: المصالحة، وهذا لا بأس به وهذا من عدل الإسلام، ومن محاسن الإسلام أن يرضخ للحصر والاتفاق على الرجوع إذا دعت الحاجة إلى ذلك، أو عجز على مقاومة العدو، وله مصلحة في ذلك، فلا مانع من أخذه بحكم الحصر، فينحر الهدى ويخلق أو يقصر ويرجع إلى بلده إلى وقت آخر.

وقوله جل وعلا: ﴿وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ هذا في الحصر، أما في الحج فلا بأس أن يخلق قبل أن يهدي، وقد ثبت عنه ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: يا رسول الله، حلقتُ قبل أن أذبح، قال: «لا حرج»، فدل ذلك على أن المراد من ظاهر الآية الإحصار خاصة، لأن الرسول ﷺ نحر قبل أن يخلق وأمر أصحابه بذلك، أما في الحج فالأفضل أن يفعل أربعة أمور مرتبة:

أولاً: رمي الجمار للمغيب.

= ثانياً: النحر أو الهدايا لمن كان عنده الهدى.

(١) أخرجه البخاري: الحج (١٧٢٢)، ومسلم: الحج (١٣٠٧).

= ثالثاً: حلق الرأس أو التقصير، والحلق أفضل.

رابعاً: الطواف والسعي لمن عليه سعي.

هذا هو الترتيب المشروع، لكن النبي ﷺ رخص في تقديم بعضها على بعض، فلما سُئِلَ عن ذلك قال: «لا حرج»، وهذا من فضل الله وإحسانه بعباده.

ومن فوائد هذه الآيات العظيمة: تنبيهه سبحانه على أن الذي ينبغي للحجاج أن يتزودوا ولا يحجوا فقراء عالة على الناس يسألونهم، بل إن قووا على الحج وعندهم مال حجوا وإلا تركوا، ولا ينبغي أن يكون الحاج كلاً على الناس وسائلاً لهم، فإن سؤال الناس ذل لا ينبغي للمؤمن أن يرضى به إلا عند الضرورة.

ثم نبه على زاد أعظم وأكبر، والذي خلق العباد من أجله، وهو التقوى: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ نبه على الزادين: زاد الدنيا الذي يحتاجه المسافر، وزاد الآخرة، زاد السفر العظيم من هذه الدنيا إلى الآخرة وهو التقوى: ﴿وَأَتَّقُونَ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ فأنت يا عبد الله في أشد الحاجة إلى هذا الزاد العظيم، زاد من =

= تقوى الله وطاعته سبحانه وتعالى، وأن تستمر على الزاد وأن يكون معك هذا الزاد دائماً، فزاد الدنيا قد يستغني عنه الإنسان في بعض أحيانه، فقد يقضي المؤمن الليلة ولا يحتاج إلى طعام وشراب، لكن زاد التقوى يجب أن يكون معه دائماً أبداً عند كل نفس، فيكون ملتزماً بتقوى الله وطاعته وتعظيمه وترهيبه، والإخلاص له في قيامه وعوده وفي سفره وإقامته، وفي جميع الأحوال يكون مُلَازماً لتقوى الله ومُلازماً للإيمان بالله ملازماً للوقوف عند حدود الله، أينما كان يرجو الله ويخشاه سبحانه وتعالى.

ومن فوائد هذه الآيات أيضاً: كأن الإنسان بعدما يُمَنُّ الله عليه بالعمل الصالح ويحسن إليه، ينبغي له أن يستشعر في نفسه أنه في حاجة إلى الاستغفار، وإلى الذكر، ولم يُعمل عملاً يبلغ الكمال، فلا بد من نقص، فلا يُعَجَب بعمله أحد، ولا يَمُنُّ بعمله أحد، بل يستشعر أن الفضل لله وحده، وأن الله هو الذي مَنَّ عليه بهذا العمل ويسرّه له من حج أو صلاة أو صيام أو غير ذلك. فينبغي له أن يستشعر مَنَّةَ الله وفضله عليه وإحسانه سبحانه وتعالى، حتى =

= يستغفر من تقصيره، وحتى يُكثر من ذكر الله ومن الاستغفار،  
ويحصل إتمام ما قد نقص، إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة.

ولهذا شرع لهم إذا أفاضوا من عرفات أن يستغفروا الله  
ويكثروا من ذكر الله بعد الحج، وهكذا في الصلاة إذا سلّم الإنسان  
يستغفر ربه، ويشعر وكأنه مقصّر، وقوله: «أستغفر الله، أستغفر  
الله» بعد السلام استشعار بأنه لم يقم بالواجب كما ينبغي، وأنه محلُّ  
النقص في هذه الصلاة، فأنت يا عبدَ الله في حاجة إلى الاستغفار  
دائماً، وإلى طلب العفو، وإلى ذكر الله ﷻ، فإن من ذكر الله ذكره الله  
﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾  
[الزخرف: ٣٦]، فإذا غفلت فأنت معرض لشياطين الإنس والجن،  
فينبغي لك في سائر أوقاتك أن تكون مُستشعراً لعظمة الله وكبريائه  
ومراقبته لعبادتك واستغفارك، وأنت محلُّ النقص ومحل العيب.  
فأينما كنت فلتكثر من الاستغفار والتوبة والندم إلى الله، وإلى دعائه  
واستغفاره وذكره سبحانه وتعالى، ولا سيما بعد العبادة، حتى لا  
يقع في نفسك شيء من العُجب أو منّة على الله سبحانه وتعالى، فالله =

= هو الذي وفقك وأعانك على العبادة قبلها وبعدها سبحانه  
وتعالى\* .

\* س: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]؟  
ج: أجمع العلماء أن معنى «ال»: أن من دخل الحج وجب إتمامه، ومن  
دخل العمرة وجب إتمامها، بخلاف النوافل الأخرى فلا بأس أن يقطعها  
مع أن الإتمام أولى، ولكن الحج والعمرة لا بد من إتمامها.  
س: هل المعنى كما في قراءة مسروق وعلقمة: (وأقيموا الحج والعمرة  
للله)؟

ج: قد يكون المعنى، لكن القراءة المشهورة هي: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ  
لِلَّهِ﴾، ولا يعني الإقامة، فالإقامة لا تعني الإكمال والإتمام.

## [حكم القتال في الشهر الحرام]

❁ قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ<sup>ط</sup> وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرًا بِهِ<sup>ه</sup> وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ<sup>ع</sup> وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ<sup>ه</sup> وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا<sup>ع</sup> وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُم عَن دِينِهِ فَمَا لَمْ يَكُنْ يَدِينُهُ<sup>ط</sup> فَأُولَئِكَ هُم فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٧-٢١٨]. [٧]

[شرح ٧] في هذه الآيات الكريبات فوائد جمة، وكتاب الله كله فوائد، فالسعيد من تدبره وتعقله وعمل بها فيه، والشقي من أعرض عن ذلك واتبع الهوى والشيطان، نعوذ بالله من ذلك.

يقول سبحانه هنا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ =

= فقوله: ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل من: ﴿الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ فهم يسألون عن حكم القتال في الشهر الحرام، قال تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ يعني: كبير الإثم. فالله جل وعلا حرّم القتال في الأشهر الحرم لحُكْمٍ عظيمة، ومنها أن يتسهل للكفار التداول في حاجاتهم، والأسفار في حاجاتهم، والانتقال من بلد إلى بلد لمهماتهم في هذه الأشهر، وهي ثلاثة متوالية: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، والرابع: رجب بين جمادى وشعبان، هذه الأربعة الحرم.

وقد اختلف أهل العلم هل تحريمها باقٍ أم نُسخ إلى قولين الجمهور على أنه نُسخ، واحتج بعضهم على ذلك بأن الرسول ﷺ بدأ القتال مع هوازن في آخر شوال وفي بعض ذي القعدة أو أول ذي القعدة، وبعضهم يقول: في ذي القعدة، وليس ذلك بمحفوظ. والأرجح قول من قال بتحريم القتال فيها، وأنه لا يُبدأ الكفار بالقتال، فإن بدؤونا قاتلناهم، كالمسجد الحرام، لا نبدأ فيه بقتال، فإن قاتلونا قاتلناهم؛ لأن الآية مُحْكَمَةٌ، وليس هناك دليل واضح للنسخ، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ =

= شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا  
 أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ  
 وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً  
 وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿التوبة: ٣٦﴾، والمقصود أن ظاهر  
 الآيات يقطع بتحريمها، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ  
 الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ  
 وَكُفْرًا بِهِ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾  
 [البقرة: ٢١٧].

كل هذه الأشياء أكبر من القتال في المسجد الحرام؛ لأن  
 المشركين عابوا على المسلمين ما قد وقع من بعض السرايا في  
 ذلك، فبين لهم سبحانه وتعالى أن هذا عظيم، وأنه إقدام على ما  
 حرم الله، ولكن أعظم من ذلك وأكبر ما ذكره بعد ذلك ﴿وَصَدُّ  
 عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: صدكم الناس عن الحق والهدى وكفركم  
 به جل وعلا.

﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني: كُفْرهم بالمسجد الحرام =

= وَحُرْمَاتِهِ ﴿وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ﴾.

ثم قال: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ يعني: فتنة الناس بدعوتهم إلى الشرك بالله أكبر وأعظم مما عبثتم على المسلمين.

ثم قال جل وعلا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَنِّلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ يبيِّن سبحانه أن الكفار ما يزالون في كيدهم للإسلام وأهله، وحرصهم على إخراجهم من دينهم الحق إلى الباطل، فهم لا يزالون هكذا يكيّدون بكلّ أنواع الكيد والمكر، والواجب على المسلمين أن يحذروهم وألا يغتروا بما قد يُبدونه من ولاية أو مساندة، فإنهم قد يفعلون ذلك لمقاصد أخرى حتى يتمكنوا من باطلهم.

ثم يقول جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يبين سبحانه أن من ارتدّ عن دينه حَبِطَ عمله وخسر الدنيا والآخرة، وباء بالحياة والندامة بدخول النار، هذا حكمه في الآخرة، أما في الدنيا فيجب =

= أن يُقتل، ففي الحديث الصحيح: «من بدل دينه فاقتلوه!»<sup>(١)</sup>، وهذا يبين لنا نشاط الكفار وحرصهم على ارتداد المسلمين وكفرهم، وأن من يرتد عن دينه ومات على ذلك فقد حبط عمله. ويستفاد من هذه الآية العظيمة أن حُبوب الأعمال معلق بالردة والموت جميعاً، فمن ارتد ومات على ذلك حبط عمله، ومن هداهُ الله ورجع إلى الحق وإلى دين الله لم تحبط أعماله؛ حيث يكون قد أسلم على ما أسلف من خير، وهذا يوافق ما جاء في حديث حكيم بن حزام، لما ذُكر للرسول ﷺ أنه فعل في كفره أشياء من عتاقٍ وصدقةٍ وغير ذلك، فقال له النبي ﷺ: «أسلمت على ما أسلفت من خير»<sup>(٢)</sup>. فالإنسان برجوعه للإسلام ودخوله في الإسلام، يُحْرَز ما سبق من العمل الصالح من صلةٍ رحمٍ أو صدقاتٍ أو عتقٍ وما أشبه ذلك، فإذا أسلم يبقى له هذا الشيء فضلاً من الله سبحانه وتعالى، وهذا يبين لنا أن المرتد تبطل أعماله من حجٍ وصلواتٍ وغير ذلك إذا مات على رده، ولا تنفعه، =

(١) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٣٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري: الزكاة (١٤٣٦)، ومسلم: الإيمان (١٢٣)، واللفظ لمسلم.

= قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] نسأل الله العافية، لكن لو رجع وتاب إلى الله بعد ردة، واستقام، فإنه يبقى له العمل الصالح السابق؛ لأن الشرط لم يوجد، وهو موته على الكفر. ومما يدل على هذا أيضاً الآية الكريمة الأخرى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ [آل عمران: ٩١] فتقييده ذلك بقوله: ﴿ وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ يوافق هذه الآية. وهذه الآيات مقيدات للآيات الأخرى التي هي للإطلاق، مثل ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨] وأشباهاها، فحبوط العمل مقيد بالموت على الردة، فمن هداه الله ورجع للحق والصواب بقي له عمله الصالح كما تقدم في حديث حكيم بن حزام، والله تعالى أعلم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨] في هذه الآية دلالة على أن الرجاء الصحيح إنما يكون مع العمل، أما من فرط وأضاع فرجاؤه خداعٌ وظلم لنفسه وتفريط، وهذا من =

= الشيطان ومن النفس الأمارة بالسوء، ومن الخداع للنفس حتى تستمر في باطلها، فالله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ<sup>٥٦</sup> وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ والمعنى: أن هؤلاء الذين فعلوا هذه الأشياء هم الراجون لرحمة الله، وأما المُفْرَطون والمضيعون فليسوا على الرجاء الحقيقي، بل على خطر، وعلى سوء عمل وتفريط، فهم جديرون بالعقوبة لتفريطهم وإضاعتهم.

ومن هذا قوله سبحانه وتعالى في سورة براءة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ<sup>٥٧</sup> يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>٥٨</sup> أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ<sup>٥٩</sup> إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71] فعلق الرحمة بهذه الأعمال العظيمة، فهؤلاء الذين هذه أعمالهم وهذا شأنهم وهذه صفاتهم، هم الذين يرجون رحمة الله، فالراجي والخائف هو الذي يعمل، قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ<sup>٥٧</sup> وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ<sup>٥٨</sup> وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ =

= لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١] فهو لاء بإيمانهم وإشفاقهم وخوفهم من الله سارعوا إلى الخيرات، فإذا فرط منه شيء من التقصير في أداء الواجب أو ركوب المحرم بادر بالتوبة وبادر بالإصلاح والخوف من الله والتوبة إليه، هذا هو الدليل على صدق الرجاء، وعلى صدق الخوف، وعلى صدق الرغبة فيما عند الله سبحانه وتعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله\*.

\* س: ما حكم الخوف من الجن عند بعض الناس؟ فإننا نسمع من بعض العامة أنك إذا أرقت ماء حاراً تُسمي؟

ج: الخوف من الجن مثل الخوف من الإنس، والخوف الطبيعي لا بأس به، فلا بأس أن يتحرى الإنسان أسباب العافية، ويسمي الله عند أكله وعند شربه حتى لا يشاركه الشيطان في أكله وشربه، ويسمي الله إذا دخل البيت حتى لا يشاركه الشيطان في المبيت، أو أراق ماء حاراً فيقول: باسم الله، ويتعوذ بالله على ما قد يصيبه هذا الشيء وما أشبه ذلك، كذلك لا يطبق الأبواب بقوة أو يعمل عملاً زائداً لا حاجة إليه؛ فإن هذا قد يصيب أحداً =

= من الجن أو يضره.

فالمقصود أن الخوف منهم من الأشياء الطبيعية التي يتوقى بها شرهم كما يتوقى شر الإنس، فلا يسبهم ولا يتعدى عليهم ولا يظلمهم، ومن تعدى على الناس تعدوا عليه، ومن سبهم سبوه، فكما تخاف من الإنس وتبتعد عن شرهم ومكائدهم وشر اللصوص والسلطين الظلمة وشر من حولك من المؤذنين بالسلامة وحفظ اللسان وحفظ الجوارح، فكذلك الجن. فالجن جيل عظيم، فيهم الفاسق، وفيهم الظالم، وفيهم الكافر، وفيهم المبتدع، وفيهم الطيب والمسلم، فيجب تَوَقِّي الشر من هؤلاء ومن هؤلاء، وإن من المنكر أن يدعوها من دون الله أو يخافها خوف السر، أو يعتقد أن لها تصرفاً في الكون.

كذلك ورد التعوذ من الشيطان عند القراءة لتأمن كيده وتليسه

عليك.

## [أحكام الحيض]

❁ قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۗ قُلْ هُوَ أَذَىٰ  
فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۗ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ۗ فَإِذَا  
طَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ  
الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْىٰ شِئْتُمْ ۗ  
وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ۗ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقَوهُ ۗ وَبَشِّرِ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا  
وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا  
يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ۗ فَإِنْ  
فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ  
عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ [البقرة: ٢٢٢-٢٢٧]. [٨]

[شرح ٨] في هذه الآيات كلمات وأحكام عدة، وتوجيه من ربنا سبحانه لعباده إلى خير الأخلاق وخير الأعمال، وتحذير لهم مما لا ينبغي من الأخلاق.

= ومن جملة ذلك أنه سبحانه وتعالى أجاب السائلين لنيبه ﷺ عن المحيض، فأجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾ ومعنى المحيض هنا: الحيض، وهو مصدر ميمي مثل: المقام والمقال وما أشبه ذلك، ﴿فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ يعني: في حالة الحيض، والحيض: دم يخرج من قعر رحم المرأة في أوقات معينة، مختلفة بالنسبة إلى النساء، قد تكون ثلاثة أيام أو خمسة أو سبعة، وقد تكون أكثر أو أقل، لكن الغالب أنه خمسة أو ستة أو سبعة أيام من كل شهر، كتبه الله على بنات آدم لحكمة عظيمة، وهي غذاء الولد حال وجوده في بطن أمه، كما أوضح ذلك أهل العلم.

فالله سبحانه وتعالى أوجب على الرجال اعتزال النساء كزوجاتهم وسبيئاتهم طوال مدة الحيض، فلا يجوز للرجل الزوج أو السيد أن يقرب الزوجة أو السبيّة في هذه المدة حتى تطهر، فإذا طُهرت بانقطاع الدم وتطهرت بالماء أو ما يقوم مقامه عند فقدته أو العجز عنه حلّت لسيدها أو زوجها.

ولهذا قال: ﴿فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ وهو أمرٌ =

= لوجوب الاعتزال، إذ جاءت الأحاديث التي دلّت على تحريم وطء الحائض، بل غلّظ التحريم في ذلك، ومما جاء في ذلك: «من أتى امرأته وهي حائض تصدّق بدينار أو بنصف دينار»<sup>(١)</sup>، فعلى المسلم أن يحذر قربانها وهي حائض من جهة الجماع، أما كونه ينام معها ويباشرها فيما دون الفرج فلا بأس، وفي الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»<sup>(٢)</sup>، فهو دليل على أنه لا بأس أن يقربها بالقبلة والمباشرة والمضاجعة ونحو ذلك دون الجماع، وكان النبي صلى الله عليه وآله يأمر النساء إذا أراد أن يباشرهنّ وهن حيض، أن يأتزرنّ<sup>(٣)</sup>، فالأفضل والسنة الاتّزار أو السراويل عند المباشرة، لأن ذلك أبعد عن الوقوع فيما حرّم الله جل وعلا.

(١) أخرجه الترمذي: الطهارة (١٣٦)، والنسائي: الطهارة (٢٨٩)، وأبو داود: الصيام (٢١٦٨)، وابن ماجه: الطهارة (٦٥٠).

(٢) أخرجه مسلم: الحيض (٣٠٢).

(٣) أخرجه أبو يعلى (٧٠٨٢)، والطبراني في «الكبير» (٣/٢٤) من حديث ميمونة. وأخرج مسلم (٢٩٥) معناه من حديث ميمونة أيضاً قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يضطجع معي وأنا حائض، وبينني وبينه ثوب.

= ثم قال جل وعلا: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرَ فَأَتُوهُنَّ﴾ ﴿بَيْنَ سَبْحَانِهِ أَنْ التَّحْرِيمِ يَمْتَدُّ، حَتَّى إِذَا طَهَّرَ مِنَ الدَّمِ وَتَطَهَّرَ بِالْمَاءِ﴾ ﴿حَتَّى يَطَهَّرَ﴾ أي: حتى ينقطع الدم فيطهرن منه، ومن الحَبَثِ والأذى، ثم بعد هذا التطهر: ﴿فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ﴾ ﴿فَرْتَّبِ الْمَجِيءَ عَلَى التَّطَهْرِ، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ التَّطَهْرِ بِالْمَاءِ، وَعِنْدَ فَقْدِهِ أَوْ الْعَجْزِ عَنْهُ: التَّيْمِمُ، فَإِذَا تَطَهَّرَتْ بِالْمَاءِ أَوْ التَّيْمِمِ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ الْمَاءِ حَلَّ لَهُ إِتْيَانُهَا وَغَشْيَانُهَا بِالْجَمَاعِ.

وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ يعني: من الفرج، لا من الدُّبُرِ، فالدبر محرم، وإنما تؤتى المرأة من قُبْلِهَا وهو محل الحَرْثِ، أي: محل الولد، أما الدبر فليس محل الحَرْثِ بل محل الأذى ومحل القدر، ولهذا جاء في الحديث: «ملعونٌ من أتى امرأته في دُبْرِهَا»<sup>(١)</sup>، وفي الحديث الآخر: «لا ينظر الله إلى رجل أتى امرأة في دُبْرِهَا»<sup>(٢)</sup>، والمقصود أن الحَرْثِ محله الفرج أي: القُبْلُ: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ من جهته القبل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ أي: من الذنوب، =

(١) أخرجه أبو داود: النكاح (٢١٦٢)، وابن ماجه: النكاح (١٩٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي: الرضاع (١١٦٦).

= ﴿ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ أي: من الذنوب كذلك، ويدخل في ذلك أيضاً التَّطَهَّرَ من الأحداث، فالله سبحانه يُحِبُّ المتطهر من المعاصي بالتوبة ومن الأحداث والنجاسات ومما جعله الله طهارة، فالله سبحانه يحب هؤلاء ويجب هؤلاء.

ولما كان التلطيخ في المحرمات نجاسة ومن ذلك الوقوع في جماع على الحيض نَبَّهَ سبحانه وتعالى أنه يجب لعباده التطهر من المعاصي بالتوبة، والتطهر أيضاً من الأخباث والأحداث بالطهارة الشرعية.

ثم يقول بعد هذا: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ النساء حرت للأزواج والسَّادَة، ﴿ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ فالقُبْل هو محل الحرت ومحل الجماع ومحل الولادة، وليس الدبر ﴿ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ أي: مقبلات ومدبرات، وتَوَهَّم بعض الناس أن المراد به الدبر، وهذا من أقبح الغلط والجهل، بل المراد: أنى شئتم من جهة الإقبال، أو من جهة الإدبار، أو على جَنْبٍ، فلا بأس بذلك، لكن بشرط أن يكون ذلك في القبل، فالفرج هو محل الحرت، أما =

= الدبر فهو نوع من اللواط، ومنكر ومحرم، وهو من الكبائر،  
نسأل الله السلامة.

وفي هذه الآيات من الفوائد أنه ما ينبغي للمؤمن أن يجعل الله  
عُرْضة ليمينه حتى يمتنع من البر والإحسان والتقوى، بل إذا  
حلف على يمين ورأى البرَّ والتقوى في غيرها، فالسنة له أن يحنث  
فيها وأن يكفّر عنها، كما قال النبي ﷺ: «إذا حلفت على يمينٍ  
فرأيت غيرها خيراً منها، فكفّر عن يمينك وأتِ الذي هو خير»<sup>(١)</sup>،  
وقال ﷺ: «والله لا أحلفُ على يمين فأرى غيرها خيراً منها، إلا  
أتيتُ الذي هو خير وكفّرتُ عن يميني»<sup>(٢)</sup>. وذلك أن الرسول ﷺ  
حلف ذات يوم أنه لا يحمل الأشعريين لما جاؤوا يطلبون مُحلاناً،  
ثم جاءه إبل فدعاهم وحملهم، فقالوا له، فقال: «ما أنا حملتكم، بل  
الله حملكم، وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها  
خيراً منها إلا كفّرت عن يميني وآتي الذي هو خير»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: الأيمان والنذور (٦٦٢٢)، ومسلم: الأيمان (١٦٥٢).

(٢) أخرجه البخاري: الأيمان والنذور (٦٦٢٣)، ومسلم: الأيمان (١٦٤٩).

(٣) أخرجه البخاري: الأيمان والنذور (٦٧٢١)، ومسلم: الأيمان (١٦٤٩).

= وقد يكون هذا الحنث مستحباً، وقد يكون واجباً، فإذا قال: والله لا أصلي في جماعة، وجب عليه الحنث، أو قال: والله لآتين زوجتي على حيضها أو على نفاسها، وجب عليه الحنث، ولا يأتيها بها فلا يفعل المحرم، فالعاصي إذا كانت يمينه على فعل المحرم وترك الواجب، وجب عليه الحنث والكفارة.

وإذا كانت اليمين على ترك المستحب أو فعل المكروه، سُنَّ الحنث فيها وشُرع، ويكفر عن يمينه، وإذا كانت على مباح نظر في الأصلح، فيأخذ الأصلح، فيحنث إن رآه الأصلح، مثل: والله لا أكل هذا الطعام، أو والله لا أنام في هذا الفراش، أو ما أشبه ذلك، فينظر الأصلح، ومن هذا قول الشاعر:

قليلُ الأُلياءِ حافظٌ ليمينه      فإن سبقت منه الأليةُ برت

فإن من يقلل منها يبرُّ بها في الغالب، بخلاف من أكثر الأيمان فإنه قلٌّ أن يبر بها بسبب إكثاره منها، فينبغي أولاً التقليل من الأيمان وألا يحلف إلا للحاجة ومصصلحة، ثم إذا بدرت منه يمين ورأى الحنث أصلح، بادَرَ بالكفارة ولم يتساهل.

= وقد بيّن سبحانه وتعالى أنه لا يؤاخذ باللغو في اليمين واللغة الدارجة في كلامه من غير قصد، وهذه لا كفارة فيها.

وأما التي يقصدها بقلبه مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩]، إذا قصدها وعقدها بقلبه، فهذه هي التي فيها الكفارة.

ثم يبين سبحانه وتعالى شأن المولين، والمولي: هو الذي يحلف أن لا يظأ زوجته أكثر من أربعة أشهر، والألية: اليمين فقال سبحانه وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُ فَإِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦-٢٢٧] فإذا آلى أنه لا يظأ زوجته خمسة أشهر، أو سنة، وما أشبه ذلك، يُمهّل أربعة أشهر، فإن فاء ورجع فله ذلك وعليه كفارة اليمين، وإن لم يرجع فلها المطالبة بالطلاق، ولها أن تصبر\*.

\* س: نريد مثالا عن المسألة الأخيرة (الإيلاء)؟

ج: إذا قال: والله لا أجامعك خمسة أشهر أو سنة أو ما أشبه ذلك، فإنه =

= يُمهّل أربعة أشهر، فإن جامع فعليه كفارة وإلا يطالب بالجماع إذا طالبت هي، يقال: إما أن تفيء وتطأها، وإما أن تطلّق.

س: الذين يخلفون إذا جاؤوا بالطعام بالطلاق أو يخلفون بالحرام، هل عليهم شيء؟

ج: في هذا الباب اختلاف بين أهل العلم، والصحيح أنها مثل اليمين، كقوله: عليّ الطلاق لأذبحن هذه الشاة، أو علي الطلاق لأكرمك، أو لتأكلنّ وليمتك أو كرامتك، أو عليه الحرام، والصواب أنه من جنس اليمين، فيه كفارة اليمين إذا حنث بأحدهما.

## [كيف تحيا الأمم]

❦ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. [٩]

[شرح ٩] فهو سبحانه على كل شيء قدير، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، جل وعلا.

ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة في مواضع خمسة عن إحياء الأموات؛ تنبيهاً على ما وعد به سبحانه من إحياء الناس يوم القيامة، ثم جمعهم بين يديه ومجازاتهم بأعمالهم، سبحانه وتعالى، فذكر في أول السورة قصة الذين أخذتهم الصاعقة لما طلبوا الرؤية ثم بعثهم الله بعد موتهم، وكذلك قصة القليل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَيْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْنُوهَ﴾ (٧٢) فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ =

= لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ [البقرة: ٧٢-٧٣]، فأحيا الله لهم ذلك القاتل حتى تكلمم وبين من قتله، وكذلك هذه القصة: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾، والرابعة قصة الذي ﴿ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وكذا حماره، والخامسة: قصة إبراهيم مع الطيور، حين طلب إبراهيم من ربه أن يُريه كيف يُحيي الموتى، فأمره الله بالطيور فقطعها وجعل على كل جبل مُنهنَّ جزءاً، ثم دعاها فجاءت إليه، وردَّ الله إليها رؤوسها وأرواحها وجمع لها شملها.

هذه خمسة مواضع فيها بيان لإحياء الله الموتى سبحانه وتعالى في هذه الدنيا، فالذي أحياهم في هذه الدنيا هو القادر على إحيائهم يوم القيامة، ومجازاتهم بأعمالهم، سبحانه وتعالى.

وفي هذه القصة بيان أنه سبحانه وتعالى يتلى عباده لعلهم يشكرون: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: أكثر الخلق لا =

= يشكرون نِعَمَ اللَّهِ ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣]، فهذا يُنبئ الإنسان على عِظَمِ هذا الخطر، وأن الغالب على بني آدم - مع كرم الله سبحانه وتعالى عليهم وإحسانه إليهم - عدم الشكر، فيأخذ الإنسان من هذا العبرة والعِظة، ويُحاسب نفسه ويجاهدها لله، لعله يكون من الشاكرين القليلين.

والشكر ليس بمجرد الكلام، بل يكون بالقلب أيضاً محبةً وتعظيماً للمُنْعِمِ سبحانه وتعالى، وطاعةً وإخلاصاً وتصديقاً له جل وعلا، ويكون باللسان ثناءً عليه سبحانه وتعالى، وطاعة لأوامره، وتركاً لنواهيه القولية، ويكون بالعمل أيضاً بأداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند الحدود، فالشاكر يعمل بما شرع الله، قال سبحانه: ﴿أَعْمَلُواْ آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

كذلك فيه بيان مضاعفته الأجر سبحانه وتعالى للمنفقين، وأن من أقرض الله قرضاً حسناً فالله جل وعلا يخلف عليه ويعطيه الخير الكثير، ويضاعف له الأجر والثواب، فإن فضله سبحانه وتعالى عظيم، قال بعض أهل العلم: القرض الحسن لا بد أن =

= يشمل ثلاثة أمور:

الأول: أن يكون من كسبٍ طيبٍ.

الثاني: أن يُصَرَّفَ عن إخلاصٍ لله، ورغبةٍ فيما عنده جل وعلا، لا رياءً ولا سمعة.

الثالث: أن يكون في جهةٍ صالحةٍ يحبها الله، كمشروعٍ خيري، لا في فساد، فيأخذها من طريقها ويصرفها في طريقها عن إخلاص لله وإيمان به ومحبة له ورغبة في ثوابه ﷻ.

وفي الآيات فوائد كثيرة من أرادها وجدها.

## [الحث على الإنفاق]

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۗ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۗ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۗ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۗ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤-٢٥٧]. [١٠].

[شرح ١٠] في هذه الآيات فوائد جمة، وأحكام متعددة، ومن أهم =

= ذلك الحثُّ على الإنفاق في وجوه البر والإحسان، ما دام العبد في الحياة؛ فإن هذه الدار هي دار العمل، وهي دار الإحسان، والاجتهاد والسعي، والآخرة دار الجزاء والحساب، والله يأمر عباده بالإنفاق من قبل مجيء الأجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ﴾ ولهذا حثّه على الإنفاق في مشاريع الخير، ووجوه البر، وصلة الأرحام، ومواساة الفقير والمسكين واليتيم.

ثم بين جل وعلا أن الآخرة ليست مثل الدنيا، ففي الدنيا قد ينفعك صاحبك، وقد يشفع لك بحق أو بباطل، أما الآخرة فلا بُدَّ من الحق، فالخُلَّةُ لغير الله لا تنفع، والشفاعةُ ليست بيد الإنسان، إذ لا بد من إذنِ الله فيها، ورضاه سبحانه وتعالى، حيث يقول في هذه الآية: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، وقال في غيرها: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، أما في الدنيا فقد يشفع الإنسان فيما حرّم الله، وقد يجيب المشفوعَ إليه، وهو لا يرضى؛ خوفاً من الشافع، أو خوفاً من التبعات الأخرى. =

= فبين الله سبحانه وتعالى أن يوم القيامة ليس فيه بيعٌ ولا خُلَّةٌ ولا شفاعة، حتى تقول: أُدْرِكُ مَطْلُوبِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشِرَاءِ حَاجَتِي، فتأتي يومَ القيامة أفقرَ ما كنت، إلا من عملك الصالح، يُبعث الناس يومَ القيامة حُفَاةَ عِرَاةٍ غُرُلًا، لا مال، ولا أنساب، ولا غير ذلك، فما هو إلا العمل الصالح؛ الإيمان بالله وتقواه سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١١]، ففي هذا حثٍ وتحريضٍ على إعداد العُدَّة كالمحبة في الله، لأنها تنفع، قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، فالشفاعة التي تنفع يومَ القيامة ما كان عن إذن الله ورضاه سبحانه وتعالى، فيُشَفَّعُ مَنْ يَشَاءُ - جل وعلا - ممن رضي عن قوله وعمله، في حق أهل التوحيد، وفي حق أهل الكبائر الذين ماتوا على شيء من معاصي الله، كما في الحديث: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»<sup>(١)</sup>، لكن هذه الشفاعة قد تكون قبل دخول النار، وقد تكون بعد دخولهم النار، وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ: أن هذه =

(١) أخرجه الترمذي: صفة القيامة (٢٤٣٥).

= الشفاعة تكون أربع مرات: في حق مَنْ دخل النار مِنْ أُمَّته عليه الصلاة والسلام، وهم أهل التوحيد والإسلام الذين ماتوا على شيء من كبائر الذنوب، كالزُّبَا والزُّنَى والعقوق وقطيعة الرَّحِمِ وشُرب المُسْكَرات وقتل الناس بغير حق وغير ذلك، فيشفع فيهم عليه الصلاة والسلام، فيسجد بين يدي ربه، ويحمّد ربه بالمحامد، ثم يشفّعه سبحانه وتعالى في قِسْمٍ، ويحدُّ له حدًّا، ويخرجهم من النار، ثم قسم آخر، ثم قسم آخر، ثم قسم آخر، ويشفّع لهم النبيون، والمؤمنون، والأفراط، والملائكة، ثم يبقى في النار جماعة بعد ذلك، لم يدخلوا في شفاعة الشافعين من أهل التوحيد، فيرحمهم الله برحمته سبحانه وتعالى، ويُخرجهم من النار بعدما احترقوا فيها.

فالمقصود أن يوم القيامة يوم عظيم، وأهواله شديدة، وليس فيه معوّل إلا على رحمة الله وعفوه سبحانه وتعالى، لا على أنساب أو أموال، ولا على قرابات أو غير ذلك، فالمعوّل بعد رحمة الله على ما قدمت من عمل صالح، ونفقة صالحة، أما بغير هذا فلا توجد شفاعة ولا تنفع، قال ﷺ: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: =

[٤٨] لأنهم كفرة، أي: ليس هناك شفاعة فيهم، لكن لو قُدِّرَ شفاعة، فما تنفعهم؛ لأنها لا تكون بعد إذن الله ورضاه، ولا يرضى سبحانه الشفاعة إلا في أهل التوحيد ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: يا رسول الله ﷺ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»<sup>(١)</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام: «إني اختبأتُ دعوتي شفاعَةً لأمتي يومَ القيامة، فهي نائلةٌ - إن شاء الله - مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»<sup>(٢)</sup>.

ثم قال: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يبين سبحانه أن الظلم الأكبر في حق الكفرة، فهم الظالمون، وهذا نوع من الحصر، والمعنى: أنهم الظالمون لا غيرهم، لأن الظلم الأكبر هو الشرك والكفر بالله نعوذ بالله، أما الظالمون الآخرون بالمعاصي كالقتل والربا والتعدي على الناس في مالٍ أو في عرضٍ، فهم دون ذلك، =

(١) أخرجه البخاري: العلم (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري: الدعوات (٦٣٠٤)، ومسلم: الإيثار (١٩٩).

= هؤلاء ظلمة، ولكنهم دون ظلم الكفر، فإن الظلم الأعظم هو ظلم الكفرة، نسأل الله السلامة.

ثم ذكر آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، هذه الآية يقال عنها آية الكرسي؛ لأن فيها ذكر الكرسي، وهي أعظم آية في كتاب الله؛ كما روي عن ابن مسعود<sup>(١)</sup>.

فهي آية عظيمة، ينبغي لك أن تحفظها، وأن تُعنى بها، وأن تقولها عند نومك، وفيها الفقه الأكبر، من بيان توحيد الله، وأن المستحق للعبادة هو الله جل وعلا ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ فلا معبود حقاً سواه سبحانه وتعالى، أما ما عبده الناس =

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٦٠٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٨٦٦٠)،

والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٣٩١) عن ابن مسعود موقوفاً عليه.

= من دون الله من أنبياء أو أولياء أو أشجار أو أحجار أو غير ذلك، فهو معبود بالباطل، كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، فالذي يعبد النبي ﷺ ويسأله، ويتوجه إليه لقضاء حاجته، أو يعبد البدوي أو الحسين أو عبد القادر أو المرسي أو ابن علوان أو فلان أو فلان أو غير ذلك، فقد عبده بالباطل، وغلط في ذلك، وضلَّ عن سواء السبيل.

أما المعبود بحق فهو الله وحده سبحانه وتعالى، لا إله غيره، ولا ربَّ سواه، وكان الكفار الأولون يشركون في هذا الرخاء، فيدعون بعض الأموات وبعض الأشجار والأحجار ويعكفون عليها؛ كما فعلت قريش وغيرهم من العرب مع اللات والعزى ومناة، ولكنهم يخلصون لله سبحانه وتعالى العبادة في الشدائد والكروب، ويلجؤون إليه وحده كما قال ﷻ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي =

= الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَيْنَا ۗ فَلَمَّا تَجَنَّكَ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۗ وَكَانَ  
الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿الإسراء: ٦٧﴾.

أما الكفرة اليوم وقبل اليوم بزمان طويل فشركهم مع آلهتهم دائماً في الرخاء والشدة، نعوذ بالله، بل في حال الشدة أشد، فإذا اشتدت بهم الأمواج، وخافوا من الغرق في البحار رأيتهم يلهجون إلى آلهتهم من دون الله، فهذا يقول: يا سيدي البدوي، وهذا يقول: يا سيدي الحسين، وهذا يقول: يا سيدي عبد القادر، وهذا يقول: يا سيدي فلان، وهذا يقول: يا رسول الله، وهذا يقول: يا ابن علوان، وهذا يقول: يا عيدروس، وهذا يقول: يا فلان وفلان، وهذا يقول: يا علي، وهذا يقول: يا فاطمة، كل واحد ذهب بإلهه، نسأل الله العافية والسلامة. وهذا الجهل العظيم والشرك الوخيم، والواجب أن يقول: يا الله، اللهم أنقذنا، اللهم عافنا، اللهم سلّمنا، فالله سبحانه وتعالى هو القادر على كل شيء ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]، فهو القادر في الشدة والرخاء على نجاتك وعلى هلاكك.

= ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حي دائم، أما الأموات فما نفعوهم بشيء، فما دافعوا عن أنفسهم، فهو الحي القيوم جل وعلا، وهكذا الأحياء فمدتهم محدودة وقدرتهم محدودة، فلا يصلحون لشيء من العبادة، فهو الحيُّ الدائم والقيوم الدائم، الذي أقام كل شيء، فهو المقيم لهذه السماوات وهذه الأرض ﴿وَمَنْ عَائِنِيهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِي﴾ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿[الروم: ٢٥]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ أي: لا يعتريه نعاس وهو السَّنة، ولا نوم وهو النوم الثقيل الذي فوق السَّنة، بخلاف المخلوق فإنه يموت وينام، فتفوته أشياء، ويجهل أشياء، أما الرب ﷻ فهو حيُّ قيوم، فلو اعتراه النوم أو السَّنة لاختلَّ هذا العالم، ولكنه سبحانه حي قيوم ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ فحياته دائمة، لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه سبحانه وتعالى، حياة كاملة، ليست من جنس حياة المخلوقين الذين يعترتهم النوم والنعاس والفتور =

= والموت والغفلة؛ لأن ربنا - سبحانه - مُنَزَّهٌ عن الصفات الناقصة، فلا يعتره نوم ولا نعاس، بل هو حي قيوم دائم الحياة ودائم العلم، ودائم القدرة جل وعلا.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا يدل على أنه مالك السماوات وما فيها، ومالك الأرض وما فيها: كما قال الله ﷻ في آخر سورة المائدة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]، مالك السماوات ومالك الأرض، ومالك ما فيهن من الملائكة والجن والإنس وغير ذلك، فهو مالك الكل سبحانه وتعالى.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ الاستفهام معناه الإنكار، أي: لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه سبحانه وتعالى.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: لا تخفى عليه خافية سبحانه وتعالى.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ كرسية مخلوق عظيم فوق السماوات وتحت =

= العرش، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى، والكرسي وسِع السماوات والأرض، وفوقه ما هو أكبر منه، وهو العرش، وهو سقف المخلوقات، والله تعالى استوى عليه؛ قال ﷺ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فالله تعالى في جهة العلو، ترفع الأيدي إليه، وتقول في سجودك: سبحان ربي الله الأعلى.

﴿وَهُوَ أَعْلَى الْعَظِيمِ﴾ علو الذات، وعلو القهر والسلطان، وعلو القدر والشرف، له أنواع العلو سبحانه وتعالى، وفي هذا الردُّ على الجهمية وأشباههم ممن أنكر علو الله سبحانه وتعالى، فهو سبحانه العلي فوق جميع خلقه، وهو منزّه عن اختلاطه بخلقِه جل وعلا.

﴿وَلَا يَتُودُّهُ حِفْظُهُمَا﴾ لا يشق عليه حفظ مخلوقاته ولا يُثقله؛ لأنه سبحانه إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون، فهو الحافظ والمقيم لهذه السماوات والأرض، والمقيم لعباده في هذه الدنيا حتى يأتي أجل القيامة، ولا يشق عليه ذلك ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

ثم يقول جل وعلا: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ =

= أَلْغَيْ ﴿﴾ فيبين سبحانه وتعالى أنه ليس هناك إكراهٌ في الدين، فقد ظهر الحق، وتبين الرشد، وهو دين الله الذي جاء به محمد ﷺ، وهو الرشد.

والغَيُّ: هو دين أبي جهل وأشباهه، وهو كفرهم والشرك بالله جل وعلا، فقد ظهر هذا، وقد ظهر هذا، واتضح هذا وهذا لأولي الأبصار، فلا إكراه في الدين بعد ظهوره واتضح أمره.

وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية، فقال قوم: إنها منسوخة بأدلة وجوب قتال الكفار وجهادهم حتى يدخلوا في دين الله، وقال آخرون: ليست منسوخة، بل يُراد بها أهل الكتاب ونحوهم؛ كالمجوس الذين تُؤخذ منهم الجزية. ولا منافاة، فالإكراه هو مثلما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي: اتضح الحق وبان، فهي إما منسوخة بنزول الآيات الدالة على وجوب قتالهم وطلب الكفار ودعوتهم إلى الحق، فإن أجابوا؛ وإلا قُتلوا.

أو مخصوصةً بآيات الجزية، فهي في حَقِّ أهل الجزية فقط، فلا يُكرهون إذا دفعوا الجزية كاليهود والنصارى والمجوس. وأما =

= غيرهم فلا مانع من إكراههم في الدين كقتالهم وجهادهم حتى يدخلوا في دين الله، كما قاتل النبي ﷺ العرب، ولم يقبل منهم شيئاً إلا دخولهم في الإسلام، فقاتلهم حتى دخلوا في دين الله؛ كما قال ﷺ: ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]، فلم يجعل لهم نهاية في قتالهم إلا دخولهم في الإسلام، بخلاف اليهود والنصارى والمجوس، فإنهم إذا قَدَّموا الجزية والتزموا بالصَّغار قبلت منهم وكُفَّ عنهم. وقال آخرون من أهل العلم: بل هذا عامٌّ، فكل من بلغ الجزية قبل منه، كما في حديث بُريدة في «صحيح مسلم»<sup>(١)</sup>: «فإن أبوا فسلهم الجزية» إلى آخر الحديث.

وقد زعم بعض الكُتَّاب أن الإسلام جاء مُدافعاً فقط، لا طالباً، ولا مُبادراً، يقاتل من يقاتله، ويكفُّ عمن كف عنه، وهذا =

(١) برقم (١٧٣١).

= كان في الطور الثاني من أطوار الإسلام، وكان الطور الأول واجباً فيه الجهاد، ثم الطور الثاني أن نقاتل من يقاتلنا، ونكفَّ عنمن كف عنا؛ كما قال ﷺ في سورة النساء: ﴿فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِيَّكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠] ولهذا الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وانتهى الطور الثالث - وهو الأخير - أن نقاتلهم دفاعاً وابتداءً حتى يدخلوا في دين الله، إذا كان عندنا قوة؛ كما قال ﷺ: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وكما قال عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام»<sup>(١)</sup>، ولم يقل: إلا أن يكفُّوا عنا.

فإنهم من ذلك أن الشريعة استقرت على قتال الكفرة حتى =

(١) أخرجه البخاري: الإيمان (٢٥)، ومسلم: الإيمان (٢٢).

= يدخلوا في دين الله ابتداءً ودفاعاً، إلا من أباح الله أخذَ الجزية منهم،  
فهؤلاء إذا بذلوها والتزموا الصَّغار، سواء أكانوا من أهل الكتاب أم  
كانوا من المجوس، فنقبلها منهم؛ لقول الله في أهل الكتاب: ﴿حَتَّى  
يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وجاء في أهل المجوس أنه - عليه الصلاة والسلام - أخذها  
منهم؛ كما أخذها من اليهود والنصارى.

فالحاصل أن هذه الآية الكريمة إما منسوخة بالطور الأخير  
من أطوار الجهاد، وأن وقتها كان وقت ضعف المسلمين، فيكف  
عمن كف عنهم، ويقاتل من قاتلهم، ثم شرع الله قتالهم ابتداءً  
ودفاعاً حتى يدخلوا في دين الله ﷻ، وهذا هو الصواب، أن يقاتل  
المسلمون عند الضعف من قاتلهم، ويكفوا عمن كف عنهم، وعند  
القوة والقدرة على القتال وإخراج الناس من الظلمات إلى النور  
يقومون بذلك؛ لأن فيه إحساناً إلى الناس، وإخراجاً لهم من ظلمة  
الكفر والشرك إلى نور الإسلام والهدى، وإنقاذاً لهم من أسباب  
دخول النار إلى أسباب دخول الجنة، فالمسلمون إذا قاتلوهم قد =

= أحسنوا فيهم، لأن قتالهم إما أن يكون من أسباب دخولهم في الإسلام، فيكون خيراً لهم في الدنيا والآخرة، وإما أن يعجلوهم إلى النار، فيكون خيراً لهم من مزيد الأعمال السيئة، فإن بقاء الكافر في حياته يزيد شراً إلى شره، وعذاباً إلى عذابه، فإذا قُوتِلَ وعُجِّلَ موته صار عذابه أقل، نسأل الله السلامة.

وإذا كان أعداء الله من الكفرة يقاتلون الدول والشعوب قتالاً شديداً، ولا يألون جهداً في ذلك، ولا يَرْقُبُونَ في مؤمنٍ إلا ولا ذمّةً، بل يُبيدونهم لأهوائهم ولمصالحهم، وابتزاز ثروات بلادهم، ولا يرون في هذا بأساً عندهم، فكيف يستنكرون من الإسلام أن يقاتل ابتداءً إذا قوي على ذلك؛ لإنقاذ هذه الأمم من الكفر، ولإدخالها في الإسلام، وإخراجها من الظلمات إلى النور، أليس هذا رحمة؟! أليس هذا إحساناً؟! أليس هذا فعل خير بهم؟! لينقلهم من أسباب عذابهم ونكالهم وغضبِ الله عليهم إلى أسباب الرضا والسعادة، فهذا هو الإحسان الواضح.

ولهذا قال بعده سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا =

= يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿﴾ هذا شأن الإسلام، يُخْرِجُهُمْ من الظلمات إلى النور، فَجَمَعَ الظلمات؛ لأن الكفر أنواع مُنَوَّعة، ووَحَّدَ النور؛ لأنه دين واحد، وصراط مستقيم.

ثم قال: ﴿﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءُ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴿﴾ يخرجونهم من نور الحق والهدى، الذي فَطَرَ اللهُ عليه الناس، إلى الظلمات، وهي أنواع الكفر والضلال والشرك والفساد، وَفَرَّقَ بَيْنَ هذا وهذا لو عَقَلَ الناس، ولكن أهل الهوى والحسد والبغي والظلم لا يعقلون؛ لأنهم يَتَّبِعُونَ أهواءهم، فيرمون الإسلام بأنه دين السيف ودين القتال، ودين هذا وذاك، ولا ينظرون في أعمالهم الخبيثة من قتلهم للشعوب وقتالهم الناس، وأخذهم أموالهم بغير حق، وظلمهم الناس لأهوائهم ومصالحهم، فيعمون عن أعمالهم الخبيثة، وينظرون إلى الإسلام بالعين العوراء الحاسدة الحاقدة، نسأل الله العافية والسلامة\*.

\*س: هل هناك مبررات لترك الجهاد في هذه الأيام؟

ج: لا يوجد مبررات إلا العجز وضعف الإيمان، ولو كان هناك اجتماع =

= على الحق وتعاون، فالمسلمون كثيرون، قرابة المليار وربع، لكن أين الاتفاق؟ وأين التعاون؟ وأين معرفة الدين أيضاً؟ فقلّ مَنْ يعرف الإسلام اليوم، وإن ادعاه، والله المستعان.

س: أُنْقِبَلُ الجزية من الكفار غير الكتابيين، كالمسيحيين مثلاً؟

ج: لا تُقبَلُ على الصحيح، وتقبل من أهل الكتاب والمجوس فقط؛ لأن الأصل قتالهم، فلا تأخذها إلا ممن جاء الشرع بأخذها منهم صريحاً.

س: وحديث بُريدة ألا يدل على جواز أخذها منهم؟

ج: احتج به من يراه، لكنّ حملهُ على المقيّد أقرب، وإلا فهو حُجّة لمن قال بجوازها من الآخرين، وقد يقال ذلك عند الحاجة والعجز.

س: الذين يقولون إن الإسلام لم ينتشر بالسيف، إنما انتشر بأخلاق الصحابة وبكذا وبكذا، فكيف يُفهم هذا؟

ج: انتشاره بالأميرين، فانتشر بأخلاقهم ودعوتهم إلى الله في الأغلب، ولكن السيف مؤيد لهم لمن عاندهم، ففتحوا البلاد بالإيمان والقرآن، وبالسيف لمن عاند، فدخل الناس بعد الفتح، ودخلت الشعوب في الإسلام، بدون قهر لها لما رأت ما فيه من الخير والهدى والصلاح.

س: المجوس ليسوا من أهل الكتاب؟

ج: المشهور أن لهم شبهة كتاب، وتؤخذ منهم الجزية. =

= س: هل ورد في النصوص الثابتة تسمية آية ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]: بالكرسي.

ج: ورد في بعض الروايات عن أبي هريرة في «الصحيحين»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر البخاري: فضائل القرآن (٥٠١٠).

## [عاقبة المرائي]

\* قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَىٰ ۖ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣١٢﴾ \* قَوْلُ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَدَىٰ ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٣١٣﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۗ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣١٤﴾ [البقرة: ٢٦١-٢٦٤]. [١١]

[شرح ١١] وهذا من شقائه، ومن غضب الله عليه، ومن تبيته لأعمال الشر، نسأل الله العافية.

=

= وفي الآيات أيضاً: الدلالة على أن المُرَّائي بأعماله التي يعملها ويتكَلَّفها ويتعب فيها ثم تضيع عليه، بمثابة من له جَنَّة بَرَبُوءَةٍ، فيها أنواع الخير وأنواع الثمار الطيبة، ثم يُبتلى بإعصار فيه نار يحرقها - نعوذ بالله - عندما يكون أشدَّ احتياجاً إليها عند كِبَرِ سِنِّه وضعف ذُرِّيَّته، وهكذا المُرَّؤون والمُنافقون يعملون أعمالاً كثيرةً شديدةً متعبة، فقد يعملون ويُجاهدون جهاداً كبيراً، ويتصدَّقون ويُعطون العطاء الجزيل ويُصلُّون وغير ذلك، ثم تذهب هباءً وتضيع عليهم؛ لأنهم ما أرادوا بها وجه الله سبحانه وتعالى، ولأنها فقدت الإخلاص لله ﷻ.

وقد يقع الإخلاص في بعض الأعمال، ولكنها تفقد الموافقة للشريعة، كما قد يقع لبعض الناس من البدع الكثيرة التي يقومون فيها أثناء الاحتفال بالموالد النبوية أو في التهجد والعمل في ليلة الإسراء والمعراج، أو في غير ذلك أو فيما يتعلق ببناء القبور وتعظيمها والإنفاق الكثير في قبورها وزخرفتها وغير ذلك، وهي تكون وبالاً عليهم وباطلاً وإثمًا وهباءً منشوراً - نعوذ بالله - لأنها =

= ما وافقت الشريعة وصارت بدعة ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنِّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

ففي هذه الآيات كلها وما أشبهها الحث على الإخلاص في الأعمال، والصدق فيها، والعناية بها، وأن تكون لله وحده، وأن تكون موافقة للشريعة، وفيها التحذير من إتباع الصدقات والإحسان المَنَّ والأذى، وأن الواجب على المؤمن أن يكون في حاله كلها متقيداً بالشريعة لا يخرج عنها لا هاهنا ولا هاهنا؛ لا في صدقاته ولا في سائر أعماله، لا برياء ولا بدعة ولا بإيذاء للفقراء والمحاويج، ولا بغير هذا مما يخالف شرع الله، وقد قال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منةً، والمُنْفِق سلعته بالحلف الكاذب، والمُسْبِلُ إزاره»، رواه مسلم في «الصحيح»<sup>(١)</sup>.\*

\* س: الحديث الذي فيه الأمر بإعادة الوضوء لمن أسبل إزاره، ما =

(١) برقم (١٠٦).

= درجته؟

ج: ظاهره في «سنن أبي داود»<sup>(١)</sup> أنه لا بأس بإسناده، فبعدهما تأولوا على التحذير والترهيب من الإسبال ينبغي للمؤمن أن يحذر ذلك غاية الحذر، وأن يكون ذلك بصفة خاصة في الصلاة، لأن فيه الأمر بإعادة الوضوء، ولا يزال كلام أهل العلم فيه لا يفهم الناس منه الشيء الكثير، ولا بد من إعادة النظر فيه.

س: قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]؟

ج: أي: عالم بالله سبحانه وتعالى وشرعه وسنته.

س: المتسولون، إذا عرف الإنسان حقيقتهم أنهم غير صادقين وأن سلوكهم غير صحيحة، فإذا آذاهم الإنسان، ما حكم ذلك؟

ج: الظاهر أن هذا منكر، فإن المنكر لا يُرد بمنكر، وهذا داخل في مسألة الأذى بالصدقة، فهؤلاء فعلوا منكراً؛ فمن سأل الناس أموالاً تكثرُ فقد سأل الناس جرة، فإنه لا يستقل ولا يستكثر، فهو مزور كذاب يغش ويدعي أشياء ما لها صحة، فيدعي أنه مدين وليس بمدين، ويدعي أنه فقير وليس بفقير، فهو صاحب منكر، فوجب الإنكار عليه؛ لأن هذا من =

.....

---

= التزوير والكذب، وصاحب الدعوى الباطلة هو الذي يسأل الناس  
تكثرأً وعنده ما يغنيه وليس بحاجة كذلك، قد أتى المنكر، نسأل الله  
العافية.

## [بعض احكام الإنفاق]

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَانْفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا  
 كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ۗ وَلَا تَيَمَّمُوا  
 الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ۗ  
 وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ  
 وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ  
 وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُؤْتَ  
 الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو  
 الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّكَرٍ  
 فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تُبْدُوا  
 الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۗ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ  
 لَّكُمْ ۗ وَيُكَفِّرُ عَنْكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ  
 خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ [البقرة: ٢٦٧-٢٧١]. [١٢]

[شرح ١٢] في هذه الآيات حثٌ وتحريضٌ على الإنفاق في سبيل الله،  
 وتوجيهٌ للعباد إلى هذا الخير العظيم، وأنه ما يحبه الله ويدعو إليه، =

= وأن الشيطان يثبُّط عن ذلك ويدعو إلى تركه.

وبيّن سبحانه وتعالى أن الإنفاق في سبيله يعود نفعه على المنفق، ويحصل له به أجر عظيم وخير كثير، وأنه بذلك يسلم من الخوف والحزن، فلا خوفٌ على صاحبه ولا حزن عليه، وهذا فضل عظيم للإنفاق في سبيل الله ﷻ. وفيها دلالة على أنه من أسباب الأمن والسعادة يوم القيامة.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يأمر سبحانه بالإنفاق من الطيبات لا من الرديء، ويدخل في هذا كتاب الزكاة، ويعلم أن ما أنفقه أهم نفقة في باب الزكوات فهي أهم النفقات وأعظمها، وهي فرض الإسلام، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة.

ويدخل في ذلك الإنفاق في وجوه البرّ والإحسان في غير الزكاة، وفيه توجيه العباد إلى الإنفاق من الطيبات، فكثير من الناس قد ينفق ولكن لا يتحرى الطيبات بل ينفق من الرديء، ثم إذا دُفع إليه لاستكره ذلك وبنى عليه فوارق ونقصاً، ولا تمتنع من =

= أخذه على سبيل التواضع والتساهل بذلك وصبر النفس وحبسها على قبوله، وهذا ليس من شأن المؤمن ولا ينبغي له أن يكون هكذا، إن ربه غني حميد سبحانه وتعالى، وهو إنما ينفق لنفسه لا لله، فربنا ليس بحاجة إلى نفقاتك ولكن كما قال جل وعلا: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، و﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [فصلت: ٤٦].

ولهذا قال بعدها: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾  
فمعنى تيمموا: تقصدوا، والتيمم: القصد، والخبيث: هو الرديء من - أي شيء - الحبوب والشمار والنقود المزيفة أو ما أشبه ذلك.

﴿وَلَسْتُمْ بِتَاخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ أي: لستم بأخذي هذا الخبيث إلا على سبيل التواضع، فإذا كان شيء لا ترضون بأخذه ولا تحبون أكله، فكيف ترضون بتقديمه لله ﷻ، فالله سبحانه إنما أمر لمصلحتكم ولنجاتكم، فجدد بكم أن تنفقوا من الطيبات التي تنفعكم وترضي الله سبحانه وتعالى.

ولهذا نبه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ =

= حَمِيدٌ ﴿﴾ فالله عز وجل ليس بحاجة إلى نفقاتكم، وهو حميد بمعنى المحمود؛ أي: حميد بالأقوال والأعمال، محمود في قوله وعمله، وبكمال إحسانه وعونه جل وعلا، وليس هو بحاجة إليكم، ولكنها مصلحتكم والإحسان إليكم بهذا الإنفاق.

ثم يبين أن الشيطان يثبُّط عن هذا الخير، ﴿وَيَعِدُّكُمْ أَلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾، هذا الشيطان الخبيث يدعو إلى كل شر، وهو يعدُّ الناس الفقر، ويقول لهم: إن أنفقتم قلَّت أموالكم، وربما افتقرتم، ويثبُّطهم عن الإنفاق والإحسان بوعدهم الفقر، وأن هذا الإنفاق كلما زاد فقد تعرضتم للفقر، ويأمرهم بالفحشاء والمنكرات التي حرَّمها الله جل وعلا والتي من بينها البخل. والفحشاء تنطبق على جميع السيئات المحرمة، ولكن هنا خصَّ البخل، وهو من الفحشاء، والشيطان يدعو إليه ويأمر به، فهو يأمر بكل شر ويثبُّط عن كل خير أعادنا الله منه.

والله سبحانه ردَّ عليه ووعد المؤمنين بضد ما قال الشيطان، قال: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ =

= يعدكم مغفرة في مقابل الفحشاء، وفضلاً في مقابل الفقر،  
 ويعدكم الزيادة والجود والكرم، كما يقول جل وعلا: ﴿ وَمَا  
 أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩]  
 ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفَهُ لَكُمْ  
 وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٧]، والله يعدنا الفضل  
 والمغفرة على إحساننا وطاعاتنا وإنفاقنا ضد ما وعد الشيطان من  
 الفقر وأمر به من الفحشاء.

﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾ فإنه سبحانه وتعالى واسع الجود واسع  
 العطاء واسع الفضل ﴿ عَالِيمٌ ﴾ بأحوال عباده.

ثم قال جل وعلا: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُؤْتَ  
 الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ الحكمة: كلمة عظيمة تُطلق  
 على كل ما يردع عن باطل ويحث على خير، وله من هذا ما جاء في  
 الحديث الصحيح: «إن من الشعر حكمة»<sup>(١)</sup>، فالشعر يقع فيه أشياء  
 رادعة عن الباطل وعن الشر، مشجعة على الخير، فكل كلمة دعوتك =

(١) أخرجه البخاري: الأدب (٦١٤٥).

= إلى خير وردعتك عن باطل فهي حكمة، ومنها سُميت السنة حكمة، وعلمُ الكتاب حكمة، فالحكمة في السنة أنها تدعو إلى الخير وتردع عن الباطل.

ومن هذا حُكم القاضي لأنه يردع الظالم فسُمِّي حُكماً، ومنها حَكَمَ الفرس التي في اللجام، سميت حكمة لأنها تردع الفرس وتمنعها من العدو الزائد على رغبة صاحبها. ومن هذا إحكام الآيات وهو إيضاها وبيان معناها حتى لا يقع هناك اشتباه، فإحكام الآيات وإحكام الكلام يمنع من الاشتباه ويمنع من الافتراء عليه أو تحميله ما لا يحتمل، فكلما كان الكلام أوضح فهو أحكم؛ لأنه يمنع الاشتباه ويمنع التردد في بعض معناه، ويجعل مستمعه على واضح من الأمر.

وأحسن ما جاء في الحكمة التي في الآية: أنها الفقه في الدين، فالفقه في الدين يردع عن كل شر ويدعو إلى كل خير، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين»<sup>(١)</sup>، فمن =

(١) أخرجه البخاري: العلم (٧١)، ومسلم: الزكاة (١٠٣٧).

= علامات الخير ومن الحكمة العظيمة أن تُفَقَّه في دين الله، وعلى رأس الفقه في دين الله الخشية لله وتعظيم حرّماته والعلم بما شرع سبحانه وتعالى، وَمَنْ رُزِقَ الْفَقْهَ فِي الدِّينِ فَقَدْ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ الَّتِي بِهَا يَدْعُ مَا لَا يَنْبَغِي وَيَأْتِي مَا يَنْبَغِي، فَبِهَا يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ، وَبِهَا يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ اللَّهِ، وَبِهَا يُؤَدِّي فَرَائِضَ اللَّهِ، وَبِهَا يَنْتَهِي عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْدُ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

## [خطورة الربا]

\* قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا  
 يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا  
 الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۗ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ  
 مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۗ وَمَنْ عَادَ  
 فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا  
 وَيُرِي الضَّدْقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ  
 أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾  
 يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ  
 مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِن  
 تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ  
 ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانِ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۗ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ  
 لَّكُمْ ۗ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ

إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

[البقرة: ٢٧٥-٢٨١]. [١٣]

[شرح ١٣] لَمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْآيَاتِ الَّتِي فِيهَا الْحُثُّ عَلَى الْإِنْفَاقِ وَالصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ، وَذَكَرَ مَا لِلْمُنْفِقِينَ مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ وَالْمُضَاعَفَةِ لِأَجُورِهِمْ بِسَبَبِ إِنْفَاقِهِمُ الْأَمْوَالَ الطَّيِّبَةَ فِي الْجِهَاتِ الْخَيْرِيَّةِ، وَذَكَرَ أَنَّ النِّفْقَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُضَاعَفُ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ وَإِلَى أضعاف كثيرة، وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْحُثُّ عَلَى الْإِنْفَاقِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، لَا مِنَ الرَّدِيءِ أَوْ مِنَ الْخَبِيثِ.

وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَعِدُّ بِالْفَقْرِ وَيَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، لِيُثْبِطَ عَنِ الْإِنْفَاقِ، وَيَخَوْفُ النَّاسَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ، وَأَمَّا الرَّبُّ ﷻ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَعِدُّ النَّاسَ مَغْفِرَةً لذنُوبِهِمْ، وَفَضْلاً مِنْهُ عَلَيْهِمْ بِإِنْفَاقِهِمْ وَإِحْسَانِهِمْ، وَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَبَارِكُ لَهُمْ فِيمَا أَبْقُوا وَيُخْلِيفُ عَلَيْهِمْ، وَيُضَاعَفُ أَجُورَهُمْ.

وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ تَبَدُّوا أَلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۖ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: =

= [٢٧١]، فالصدقات سواء كانت ظاهرة أو خفية، كلها فيها خيرٌ عظيم، سواء أظهرها وأعلنها لمصلحة في ذلك؛ ليقتدى به ويتأسى به في مواساة الفقير والمحتاج عند الحاجة إلى ذلك، أو أخفاها - وهو أفضل - عند عدم الحاجة للإعلان، فالأصل في الصدقات أن السر فيها أفضل، وإذا دعت الحاجة للإعلان فلا بأس بالإعلان للمصلحة الشرعية.

وبعد أن بين سبحانه فضل المنفقين بالليل والنهار وما لهم عنده، ذكر بعد ذلك المرابين وما لهم عند الله من العقوبة؛ فالمرابي أساء إلى الناس وضيق عليهم في شؤونهم وفي أموالهم، وابتغى من وراء معاملته الأخذ من أموالهم والزيادة عليهم، فهو مضيق عليهم ومُسيء إليهم بالربا، وأما المنفق فهو مُتصدِّق محسن إليهم ومراعٍ لأحوالهم وموسِّع عليهم. فستان بين الفريقين؛ فالمنفقون والمتصدقون قد أحسنوا وفرَّجوا ويسَّروا، والمرابون قد ضيقوا وأسأؤوا وابتزوا بأخذ الأموال بغير حق، فلهذا جاء الوعيد في حقهم، قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا =

= يَفُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا  
 الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ  
 رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۗ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ  
 أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٥﴾ يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي  
 الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿١٧٦﴾ ففي هذا تحذير من الربا،  
 وأن أكلته يقومون يوم القيامة من قبورهم مجانين، نعوذ بالله،  
 يتخبطون من مسّ الجن لهم، ويروى عن ابن عباس وجماعة: أن  
 أكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً يُخنق، وهذا من باب إظهار سوء  
 عمله ومن باب الفضيحة له.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ يعني: اعترضوا  
 على الله وقالوا: لماذا حرّم هذا وأباح هذا؟ إنما البيع مثل الربا؛ فإذا  
 كان الربا حراماً فليكن البيع حراماً، وإن كان البيع حلالاً فليكن  
 الربا حلالاً، أي: ليس هناك فرق، فخفي عليهم الأمر واشتبهت  
 عليهم الحكمة، فلماذا قالوا ما قالوا. وهذا الاعتراض على الله من  
 باب سوء الظن به سبحانه وتعالى، وأنه يعبث بالأحكام، وأن ليس =

= هناك حكمة في الفرق بين هذا وذاك، ومن اتهم الله في حكمه وأساء به الظنَّ، فقد ارتكب منكراً عظيماً وكفراً شنيعاً، نسأل الله العافية.

ثم بين جل وعلا أنه حرّم الربا وأحل البيع لحكمة بالغة؛ فقد أحل البيع لما فيه من المصالح، وحرّم الربا لما فيه من المفسد، وما ذلك إلا لأن الإنسان من طبعه يحتاج إلى ما في يد غيره من طعام أو لباس أو مركوب، إلى غير ذلك، فماذا يفعل؟ إذا أخذه منه بالقوة صار النزاع والفتنة، وربما أفضى إلى قتال ومضاربات، فهذا ظلمٌ وعدوان، وإن انتظره حتى يعطيه إياه هديةً فقد لا يحصل ذلك، فليس كل أحد يُهدي إليك ما تريد، فماذا تفعل عندئذٍ؟ أتبقي على حالك محتاجاً مضطراً ليس لك حيلة؟ فكان من حكمة الله أن أباح البيع حتى يتيسر لك أن تشتري حاجتك من أخيك برضاه، ويتيسر له أيضاً أن يشتري منك حاجته بالرضا بالثمن المتفق عليه بينكما، وتُقضى حاجة هذا وتُقضى حاجة ذاك، بدون نزاع ولا خصام ولا عدوان ولا ظلم، فهذا من حكمته سبحانه وتعالى.

= ثم يبين سبحانه وتعالى أن من جاءه موعظةٌ من ربه فانتهى عن الربا وعمّا حرم الله عليه، فله ما سلف، فالله يغفر له ويعفو عنه فيما سلف، وهذا من فضله جل وعلا أن التائب يُغفر له ما سلف، ومن عاد للربا وما حرم الله عليه فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، وهذا وعيد لمن عاد للمعاصي والكبائر بالنار، وهذا يوجب الحذر من العود إلى المعاصي، ويوجب الحثّ على الاستمرار في التوبة والثبات عليها حتى تلقى ربك ﷻ.

ويبين سبحانه أن الربا محقّقٌ منزوعُ البركة، صاحبه كشارب ماء البحر لا يزال يطلب المزيد ولا يزال ظمؤه يزيد، فمآله إلى قلة وإلى غضب الله ﷻ، نسأل الله العافية، وأما صاحب الصدقات فيُربي الله له صدقاته، ويزيده من فضله سبحانه وتعالى؛ كما في الحديث الصحيح: «من تصدق بعدل تمرّة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يُربّيها لصاحبه كما يُربي أحدكم فلوه أو فصيله، حتى تكون أعظم من الجبل»<sup>(١)</sup>، وهذا =

(١) أخرجه البخاري: الزكاة (١٤١٠)، ومسلم: الزكاة (١٠١٤).

= من فضله سبحانه وتعالى.

وفي هذا أيضاً بيان أن أهل الإيمان والعمل الصالح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة سالمون من هذا البلاء، ولهم عند الله الفضل العظيم، وليس عليهم خوف ولا حزن، فقد اعترض سبحانه بهذه الآية بين آيات الربا؛ لِيُبَيِّنَ أن من آمن بالله وعمل الصالحات وأقام الصلاة وآتى الزكاة فإن الله جل وعلا يَأْجُرُهُ الأجر العظيم، وَيُنْجِيهِ مما وعد به هؤلاء المرابين.

ويبين سبحانه أن في أداء الزكاة وأداء الصدقات غُنْيَةً عن الربا وعن المحارم، فالذي يؤمن بالله ويعمل الصالحات ويُقيم الصلاة ويؤتي الزكاة له الأجر العظيم، وهو بعمله ذلك ممن يُزِيل أسباب الربا، وممن يعين الفقراء على السلامة من الربا والحاجة إلى الناس.

ثم يبين سبحانه وتعالى ما للمرابي بقوله: ﴿فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فمن لم يتب من الربا، فليأذن بحرب من الله ورسوله، يعني: فاعلموا بحرب من الله ورسوله.

﴿وَإِن تَبَتُّمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا =

= تَظْلَمُونَ ﴿ فالتائب يُعْطَى رأس ماله، فلا يَظلم ولا يُظلم، فإذا باع مثلاً عشرة بخمسة عشر، أو مئة بمئة وعشرين، أو أقل أو أكثر، ثم تاب الله عليه، فله رأس ماله: العشرة أو المئة، والزيادة تسقط، يقول: ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ لا تظلمون في الزيادة، ولا تُظلمون في رأس المال، فيعطى رأس ماله ويكفيه.

ثم يبين سبحانه وتعالى أنه لا حاجة إلى الربا، ولا حاجة ليظلم الناس من كان معسراً، فالواجب إنظاره ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ فإن أغلب المرابين هم الفقراء، والتجار الذين يُنظرونهم يسيئون إليهم، حتى يضطروهم إلى المعاملة الربوية، فالواجب على التاجر أن يُنظر ولا يُسيء إلى الفقير، فليُنظره ويمهله حتى يُوسّع الله عليه، فيرد الدين الذي عليه، ولا يُلجئه إلى الربا.

﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ فإنظار: مصدر معناه الأمر، يعني: فأنظروه إلى ميسرة، وهذا واجب، فلا يجوز حبسه ولا إيذاؤه ولا ظلمه إذا ثبت عُسره، بل يجب أن يُنظر، وأما =

= المرابون فيقولون: لا نُنْظِرْكَ، بل لا بد أن تزيد في المال حتى نُمهلك، فإذا كنت معسراً فاجعل الزيادة في المال حتى نُنْظِرْكَ شهراً أو شهرين أو سنة، وهكذا، ثم إذا حَلَّ الأجل يزيدون في المال وفي الأجل حتى يتضاعف المال ويكثر.

هذا مرادهم، فرد الله عليهم وأبى عليهم ذلك بأنَّ عليهم الإنظار بدون زيادة، فقد كانوا في الجاهلية يقولون للفقير إذا حل الدين عليه: إما أن تُرْبِي وإما أن تقضي؛ يعني: إما أن تزيد في المال حتى نمهلك، وإما أن تقضي لنا حقنا في الحال، وليس عنده قضاء، فيضطر إلى الربا، ثم إذا حل الأجل بعد ذلك قالوا: أعطنا - وليس عنده شيء -، فيزاد المال، وهكذا، وهذا هو نفس عمل البنوك الآن فيما بلغنا عنهم - وإن لم يُظهروا ذلك -، فعملهم كعمل الجاهلية: إما أن تربى وإما أن تقضي.

ثم يقول سبحانه: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني: إذا كان معسراً فالإنظار واجب، ولكن الأفضل من الإنظار الصدقة، وهذه من الوسائل التي تكون النافلة =

= فيها أفضل من الواجب، فالإنظار واجب والصدقة مستحبة، وهي أفضل لصاحب الدين من الإنظار، فالإنظار إمهال له، والصدقة إبراء له من الحق، وذلك أكمل وأفضل.

ثم يُحذِرُ النَّاسَ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيْقَوْلُ: ﴿وَأْتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۗ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فهذا تحذير من ربنا للعباد أن يعصوه ويخالفوا أمره، فيندموا يوم القيامة غاية الندامة، فيوم القيامة يجازى فيه العباد بأعمالهم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فالواجب أن يتقى هذا اليوم وأن يحذر؛ حتى لا تُقَدَّمَ عليه وأنت مُحمَّلٌ بالأوزار، بل ينبغي أن تُعَدَّ العُدَّةَ حتى تُقَدَّمَ في هذا اليوم وأنت صاحبُ توبة وعمل صالح، وإياك أن تُقَدَّمَ يوم القيامة بأوزارٍ وسيئاتٍ ورباً وأعمالٍ قبيحةٍ، تندم يوم القيامة إذا رأيت جزاءها ورأيتها في كتاب سيئاتك، ولا حول ولا قوة إلا بالله\* .

\* س: آية ﴿وَأْتَقُوا يَوْمًا﴾ هل الصحيح أنها آخر آية نزلت في القرآن؟  
ج: رُوي هذا، ولكن ليس بظاهر، والأقرب أن آخر آية نزلت هي: =

= ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، التي نزلت على النبي بعرفات عليه الصلاة والسلام. انظر: «فتح الباري» (٨/ ٢٠٥)

س: كيف نجمع بين قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]؟

ج: الخلود خلودان: خلود مؤبد، وخلود إلى وقت معين، فخلود الكفار مؤبد أبد الآباد، نعوذ بالله، وخنود العصاة خلود مؤقت، والعرب تطلق على المدة الطويلة خلوداً، فيقولون: قاموا فأخلدوا، يعني: قاموا طويلاً، وهذا هو المراد في حق أهل المعاصي، كما هنا في المرابين إذا كانوا غير كافرين، وكما في قوله جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

فإذا كان غير مستحل لذلك فهو خلود مؤقت، كما ذكر في أحاديث: «من قتل نفسه بحديدة فهو في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها»<sup>(١)</sup>، يعني: إلى أجل، هذا عند أهل السنة والجماعة خلافاً للمعتزلة والخوارج.

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٧٨)، ومسلم: الإيمان (١٠٩).

## [أحكام المداينة]

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ  
 أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا  
 يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي  
 عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِنْ كَانَ الَّذِي  
 عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ  
 وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ۖ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا  
 رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضَلَّ  
 أَحَدُهُمَا فَتَذَكَّرَ أَحَدُهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْب الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا  
 وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ  
 عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ ۖ أَلَّا تَرْتَابُوا ۚ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً  
 حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۚ  
 وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِنْ  
 نَفَعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ  
 وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ ٢٨٢ ﴾ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ

تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي  
 أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ  
 يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

[البقرة: ٢٨٢-٢٨٣]. [١٤]

[شرح ١٤] هذه آية الدين وهي أطول آية في كتاب الله ﷻ، وقد  
 اشتملت على آداب المُدَايِنَةِ والمُعَامَلَةِ، وما ينبغي أن يعامل به  
 الشُّهُود والكُتَّاب، وهي في الحقيقة منهج عظيم في المُدَايِنَةِ والمُعَامَلَةِ،  
 فينبغي للمسلم أن يسير عليها وأن يلزمها لما فيها من حفظ الحقوق  
 والعناية بأمر الشهود والكُتَّاب الذين بهم تُحْفَظُ الحقوق.

وهي أصلٌ في بيع الأجل وبيع السَّلَم؛ لأنها داخلان في  
 إطلاق الآية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ  
 مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ فإن الدين يشمل بيع الحاضر إلى أجل،  
 ويشمل بيع المؤجل بثمن مقدّم وهو السَّلَم، وكلاهما عقدان  
 جائزان ومعاملتان شرعيتان بشروطهما.

ونجد أصله أيضاً جواز المُدَايِنَاتِ والبيوع المؤجلة من  
 شخص إلى غيره، إلا ما حرّمه الشرع من مثل العقود الربوية أو =

= العقود التي تشتمل على غَرَر، فالأصل في الإسلام صحة العقود وصحة المداينات ما لم يوجد ما يُبطلها أو يُفسدها من غرر أو ربأ، وإنما الأصل كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] فإن الأصل في المعاملات وفي الوفاء بالعقود: الحِلُّ، كما في سورة المائدة ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] فالأصل حل العقود، وحل البيع والإجارة والمساقاة وما أشبه ذلك بين المسلمين.

ولهذا يقول سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ ففي هذا بيان حفظ الديون والحقوق بالكتابة، وأنه ينبغي الإملاء الحقيقي المطابق للحق والعدل، من دون زيادة ولا ظلم ولا نقص ولا بخس.

وكذلك أن يكون الدين إلى أجل مسمًى؛ حتى لا يقع نزاع أو خصام، وحتى يكون كل منهما على بينة وعلى بصيرة، فإذا كان إلى غير أجل مسمًى لم يصح؛ إذ لا بد من تأجيل إلى أجل مسمًى حتى =

= يتمكن طالب الحق من المطالبة بحقه، وهكذا قال الرسول ﷺ:  
 «من أسلفَ فلا يُسلفُ إلا في كيلٍ معلومٍ ووزنٍ معلومٍ إلى أجلٍ  
 معلومٍ»<sup>(١)</sup>، فإن الأجل المعلوم يحسم النزاع، فإن تقدم به فقد  
 أحسن، وإن تأخر حتى يأتي الأجل فلا حرج عليه.

وفيه الكتابة كذلك، وهي من باب حفظ الحقوق، وهو أمرٌ  
 للذنب والإرشاد، والكتابة مستحبة ومشروعة، فإن الله سبحانه  
 وتعالى أمر بها إلا إذا كانت التجارة من المعاملات الحاضرة، فلا حرج  
 في عدم الكتابة؛ لأنها قد تشقُّ على المتبايعين، فإذا كانت المعاملة ناجزة  
 - يأخذ ويعطي - فلا حاجة للكتابة، بخلاف المدائنة فإنها يتأخر فيها  
 المبيع أو يتأخر فيها الثمن، ويحتاج إلى الكتابة حذراً من النسيان.

وكذلك الإشهاد في البيع مستحب عند أهل العلم لقوله  
 سبحانه: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ ويدل على عدم الوجوب  
 ما وقع في بعض المعاملات من عدم الإشهاد منه عليه الصلاة  
 والسلام، فالحاصل أن الإشهاد سنةٌ ومستحبٌ لحفظ الحقوق، لما =

(١) أخرجه البخاري: السلم (٢٢٤١)، ومسلم: المساقاة (١٦٠٤).

= في ذلك من إعانة المشتري والبائع على حفظ الحق، ولا سيما إذا كانت مُداينة؛ لأنه قد ينسى، فوجود الكتاب والشهود أكمل في حفظ الحقوق.

وفي هذا دلالة على أن المرأة في الشهادة تُعَدُّ نصف الرجل، فإذا شهد بالحق امرأتان كان هذا بمثابة شهادة رجل واحد، والأربع بشهادة رجلين، ويبين العلة سبحانه بقوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ ﴿لَمَّا كَانَ ضَبَطَ الْمَرْأَةُ أَقْلَ مَنْ ضَبَطَ الرَّجُلَ فِي الْغَالِبِ، احتيج إلى أن تُعَزَّزَ بأختها حتى تكون مُعِينَةً لها في وقت الحمل.

وفي هذا أنه ينبغي للشهود أن لا يأبوا إذا دُعُوا، وأن عليهم أن يساعدوا إخوانهم في حمل الشهادة وفي أدائها، وهكذا الكاتب كذلك، فلا يأبى إذا دعت الحاجة إليه؛ لأن هذا من باب التعاون على حفظ الحقوق، ومن باب النفع للمسلم؛ والنبي ﷺ قال: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: الذكر والدعاء (٢٦٩٩).

= ويقول أيضاً ﷺ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ»<sup>(١)</sup>، وهذا من باب التعاون على أمور تنفعه في الدنيا والآخرة.

وهذا فيه تحذير من المضارّة ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ فالواجب على المتعاملين ألا يُضَارُّوا الكاتب وألا يضارُّوا الشاهد، بحبسه والتطويل عليه أو تعطيله عن مصالحه، أو دعوته في الوقت الحرج فيشق عليه، أو ما أشبه ذلك مما فيه ضَرَرٌ على الكاتب والشاهد، بل يُتحرى في حقهما ما لا يضرهما من الميقات المناسب لهما، والدابة التي تريحهما - السيارة - وما أشبه ذلك مما يُعين على أداء الشهادة والكتابة.

وفيه بيان أن تعمّد المضارّة فسوقٌ لمن فعل ذلك ﴿وَإِنْ تَفَعَّلُوا فإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ يعني: هي معصية بكم، فالحاصل أن الواجب على المسلم ألا يُضَارَّ أخاه الكاتب ولا الشاهد، بل يتحرى ما ينفعه وما لا يشق عليه ويسهل؛ حتى يحصل التعاون والمساعدة على حفظ الحقوق.

(١) أخرجه البخاري: المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم: البر والصلة (٢٥٨٠).

= ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ وهذا فيه الأمر بالتقوى، وأن المتقي لله ﷻ حرٌّ بأن يُعلِّمه الله ويوفقه ويعينه، فالتعليم منةٌ من الله عز و علا، و عليك يا عبدَ الله أن تتقيَ ربك وهو يعلمك سبحانه وتعالى، وليس معنى ذلك أن تتقيَ الله وترك التَّعلم، فالتعلم من التقوى، فمن اتقى الله يتعلم، والتعليم له أسبابه فأنت تأخذ بها. وهكذا بقية الأمور التي أنت مأمور بها من طلب الرزق الحلال، ومن الزواج، وصلة الرحم وغير ذلك، فأنت مأمور فيها بالأخذ بالأسباب، وأن تتقي الله في ذلك كله، ومن تقوى الله: برُّ الوالدين وصلة الرحم والكسب المباح وطلب العلم وغير ذلك، والله جل و علا هو مسبب الأسباب، وهو المعين على كل شيء سبحانه وتعالى، وإنما عليك أن تتعاطى الأسباب وأن تأخذ بها.

وأنت أيضاً في أخذك بالأسباب تكون في رحمة الله وإحسانه، فبدون رحمته وإحسانه لما قَدَرْتَ على شيء، ولما أخذت بسبب، ولما قويت على شيء، ولكن انظر؛ هو المُعلِّم والمُعِين سبحانه وتعالى، وهو المُسهِّل، فعليك أنت أن تسارع إلى ما ينفعك، وأن تبادر إليه، =

= وأن تستعين بالله سبحانه وتعالى، وفي الحديث الصحيح: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لم يصبني كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»<sup>(١)</sup>. فالمؤمن يحرص على ما ينفعه في الدنيا والآخرة ويستعين بالله سبحانه وتعالى، والله معينه، فمن اتقى الله سبحانه يسر له أموره ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤] ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩] والفرقان: هو العلم، ومن اتقى الله يسر له أموره، وفرج كُرباته، وأعطاه العلم النافع.

ومن أسباب العلم النافع: أن تكون مُتقياً لله، وأن تتعلم وتُسارع إلى حلقات العلم، وأن تُنقّب عما أشكل عليك، وأن تسأل عما خفي عليك، فكل هذا من الطرق المرشدة إلى تعليم الله لك سبحانه وتعالى، وهو حصول الفرقان، وقد يغلط بعض الناس =

(١) أخرجه مسلم: القدر (٢٦٦٤).

= ويظن أن ما وعد الله به من الخير والهدى والصلاح والعلم وتفريج الكروب وأشباه ذلك لا يحتاج إلى أسباب، وإنما يحصل بمجرد الوعد من دون الأخذ بالأسباب من العبد، وهذا غلط، فقد يحصل ذلك عند الشدائد وعندما يعجز العبد عن الأسباب، وعند ضيق الأمور عليه، لكنه مأمور بالأسباب، وعليه أن يتخذ فعل الأسباب التي يستطيعها.

وقد لا تنفع الأسباب، وقد تُعطلَّ وقد يُحال بينه وبينها، فعند هذا يجيء فرج الله وتيسيره ويأتي مددُه سبحانه وتعالى، فكم من مضايقٍ عاجزٍ عن الأسباب يأتيه المدد من الله سبحانه وتعالى، لكن مع القدرة والاستطاعة على الأسباب فالواجب ألا يتأخر عن ذلك، وأن يكون عاملاً بالأسباب آخذاً بها، فالجنة لها أسباب، والنار لها أسباب، والرزق له أسباب، وقضاء الدين له أسباب، وطلب العلم له أسباب، وهكذا، ومع ذلك فعلى المسلم أن لا يعتمد على الأسباب وحدها، بل يأخذ بها ويستعين بالله عليها = سبحانه وتعالى.

= ومن ذلك الرهن، فالرهن لا بأس به؛ لأنه يقوم مقام الإشهاد، ومقام الكتابة عند عجز الإنسان عن الكتابة والإشهاد، فيستفيد من الرهن؛ لأن فيه حفظ الحق، وإذا جمع بين ذلك؛ فكتب وأشهد وأخذ رهناً، فكل هذا نوع من الاحتياط، فلا بأس. والواجب على المرتهن أن يؤدي الأمانة التي أوتمن عليها؛ فإن الرهن أمانة عنده، فليثق الله في ذلك، وأن يعتني بالأمانة ولا يخونها حتى تؤدّى، فصاحب الحق قد يؤدي الحق كاملاً فيسترد رهنه، وقد يعجز عن الرهن فيبيع هذا الرهن، فالمرتهن أمين فليؤدّ الأمانة وليحذر أن يخونها أو يضيّعها.

وكذلك الشهادة أمانة، فليثق الله في أدائها، فلا يكتمها وأخوه بحاجة إليها، ولا يزد فيها ولا ينقص، بل يحفظها ويصونها ويستعين على ذلك بالكتابة، وليتذكرها دائماً حتى تؤدّى كما تحمّلها ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ نسأل الله العافية\*.

\* س: قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا اللَّهَ وَبِعَاكُمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، هل =

= يعني هذا أن الله يعلم المتقين الأحكام التي وردت في الآية فقط؟  
 ج: هذا قيد ليس له لزوم، فالمعنى: الأحكام وغيرها، لكن الأحكام الموجودة من باب أولى، ولكن من اتقى الله علمه الله أحكام الدين عامة، والأهم أحكام العقيدة الصحيحة.

س: تقدم تقديم المثلث وتأخير الثمن، هذا معروف بين الناس، ولكن تقديم القيمة وتأخير المثلث، كيف يكون؟

ج: هذا يسمى بيع السلم، كأن أقول: يا زيد أنا أشتري من ذمتك مئة صاع من بُرمئة ريال، وتؤدي لي هذا العيش في رمضان أو في شعبان أو في رجب، فهذا يسمى بيع السلم، وقد قدم النبي ﷺ المدينة وهم يُسلفون في التمر السنة والستين والثلاثة، فقال رسول الله ﷺ: «من أسلف في تمر فليُسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم»<sup>(١)</sup>. فالسلم: تعجيل الثمن وتأخير المثلث أو المبيع، وعكسه بيع الأجل، وهو تسليم المبيع وتأجيل الثمن.

(١) أخرجه البخاري: السلم (٢٢٤١)، ومسلم: المساقاة (١٦٠٤).

[إحاطة علم الله وتمام ملكه وقدرته]

❁ قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ۗ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُونَ ۗ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۗ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

[البقرة: ٢٨٤-٢٨٥]. [١٥]

[شرح ١٥] هذه الآيات الكريمت توجّه العباد إلى الإيمان بأن ربهم سبحانه وتعالى هو المالك لكل شيء، وهو على كل شيء قدير، وأنه يعلم ما في الضمائر، ويعلم ما تنطوي عليه القلوب، فلا تخفى عليه خافيةٌ جل وعلا، وهو مالك السماوات ومالك الأرض، والمالك لما فيها، كما قال سبحانه في سورة المائدة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠]. =

= ولما نزلت آية البقرة هذه شقَّ ذلك على أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، وجاءوا إليه وقالوا: يا رسول الله، حملنا من التكاليف ومن الشرائع ما نستطيع، ونزلت هذه الآية ولا نستطيعها، أو كما قالوا رضي الله عنهم وأرضاهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟! قولوا: سمعنا وأطعنا» فقالوها<sup>(١)</sup>.

فلما قالها القوم نزل على إثرها قوله سبحانه: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فلما نزلت هذه الآية أنزل الله على إثرها ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] الآية، فرفع الله عنهم ما خافوا وخشوا، وهو أن يحاسبوا بما في القلوب وما يخطر من الأشياء في الصدور؛ لأنه قال: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٢٥).

= يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﷻ، وقد خافوا من هذا لأن الإنسان يخطر له خواطر ويكون في نفسه أشياء، ولكنه لا يُصِرُّ عليها ولا ينفذها، بل تخطر وتزول، فرفع الله عن المسلمين هذا الشيء بهذه الآيات، ولهذا في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان<sup>(١)</sup> أن النبي ﷺ قال: «إن الله تجاوز عن أمي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم»، وهذا من رحمته سبحانه وتعالى وإحسانه، وفي الحديث الآخر يسأل بعض الصحابة النبي ﷺ: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاضم أحدنا أن يتكلم به، قال: «وقد وجدتموه» قالوا: نعم، قال: «ذاك صريح الإيمان»<sup>(٢)</sup> يعني: أن وساوس الشيطان قد تَرَدُّ على الإنسان حتى يقع في نفسه وفي قلبه أشياء يتعاضم من أن ينطق بها لُقْبُحِهَا، فالشيطان حريص على أن يوقع الناس في الوسواس الخبيثة والأفكار الباطلة، فإذا عاجلها بذكر الله واستغفاره والتبتل إليه والتعوذ بالله من الشيطان زالت وارتفعت.

ولهذا في حديث آخر يقول عليه السلام: «يأتي الشيطان =

(١) البخاري: الطلاق (٥٢٦٩)، ومسلم: الإيمان (١٢٧).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (١٣٢).

= أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله وليتته<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «فليقل: آمنت بالله»<sup>(٢)</sup>. فالشيطان لا يزال بابن آدم يُلقي عليه الوسوس والأفكار الرديئة، فإن كان عنده نور وإيمان وهدى دافع هذه الوسوس بالتعوذ بالله، والإيمان بالله ورسوله، والعلم بأنها من الشيطان، فيرتفع ذلك عنه ويزول، وإن كان الإنسان ليس عنده علم ولا بصيرة استرسل مع هذه الأفكار السيئة، حتى تكون عظيمة فتستقر في نفسه، والعياذ بالله.

وفي هذا بيان أن الواجب على العباد عند الشرائع وعند نزول الآيات أن يتقبلوها بالإيمان والتصديق وبصدر رحب، ولا يكفروا بها ولا ينفروا منها، ولا يقولوا: لا نؤمن بها ولا نستطيعها، بل يجب قبولها والإيمان بها، ثم سؤال الله التيسير والتسهيل فيما إذا كان هناك شيء من الشدة، والله المعين سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ =

(١) أخرجه البخاري: بدء الخلق (٣٢٧٦)، ومسلم: الإيمان (١٣٤).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (١٣٤).

= يُسْرًا ﴿ [الطلاق: ٤].

وفي هاتين الآيتين ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ وما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه»<sup>(١)</sup>، وهما: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ إلى آخر السورة، أي: كفتاه من كل سوء، وكفاه الله من الشيطان، وقيل: كفتاه عن قيام الليل، ولكن الصواب هو المعنى الأول، أي: أنها تكفيه وتكون له حرزاً من الشيطان، وكفاية له من كل سوء.

وأما قيام الليل فهو على حاله وشرعيته وسُنَّيته، فقد كان النبي ﷺ يقوم من الليل ويتهجده، وكان يقول هاتين الآيتين عليه الصلاة والسلام.

وفي هاتين الآيتين الدلالة على أن الواجب على العباد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، كما في حديث جبرائيل لما سأل =

(١) أخرجه البخاري: فضائل القرآن (٥٠٥١)، ومسلم: صلاة المسافرين وقصرها

= النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه  
ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»<sup>(١)</sup>، وجاء ذكر هذه  
الأصول في الآية: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، فهذه  
الأصول الستة عليها مبنى الإسلام ومبنى الإيمان في القلوب.

وأما الأركان الخمسة الظاهرة فهي العمدة الظاهرة للإسلام،  
وهي: الشهادتان، والصلوات الخمس، والزكاة، والصوم، والحج،  
وللإسلام أيضاً عمدة وأصول باطنة تكون بالقلوب، ولا بد منها،  
ولا يستغنى عنها بالأعمال الظاهرة، وهي أصول الإيمان الستة.  
فمن جمع بينهما فهو مسلم حقاً، ومن أدى الأركان الخمسة الظاهرة  
ولكنه لم يف بالأصول الباطنة فهو منافق، فالذي يقول بلسانه  
ويعمل ظاهراً ما ليس في قلبه لا يكون مؤمناً مسلماً بها، إلا إذا جمع  
بين الأمرين، وأدى الأعمال الظاهرة، وآمن بالأصول الباطنة،  
وصار إيمانه يصدق ما أظهره من إسلامه ودينه، ويصدق ما أبطن، =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٨).

= فهو جامع بين الظاهر والباطن، أي: بين الأصول الظاهرة والأصول الباطنة.

فهو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، عن إيمان صادق، وعن تصديق بأن الله معبود بحق، وأنه رب العالمين، ويشهد بالرسول عن إيمان وعن تصديق أنه رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وهكذا إقامته الصلاة، وإيتاؤه الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت، إلى غير ذلك مما يأتي به عن إيمان بأن هذا من شرع الله، وأن الله أمر بهذا، فلا يأتي به رياءً كالمنافقين، بل يأتي به عن إيمان وعن تصديق وعن علم أن هذا من شرع الله وأنه مما أمر الله به.

وفيه أيضاً من الفوائد أن الله جل وعلا لا يكلف العباد إلا ما في وسعهم، وطاقاتهم وأن الله جل وعلا قد أجاب هذه الأمة في إعفائها من تكليفها بما فيه آصارٌ وأغلالٌ مما جرى على الماضين، ولهذا جاء في «الصحيح»: أن الله سبحانه وتعالى لما أنزل قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾. قال: قد فعلت، إلى آخر الآيات، في كل =

= دعوة يقول: قد فعلت<sup>(١)</sup>، فأجاب الله هذه الدعوة ورفع عن المسلمين الحرج والآصار التي أصيب بها من قبلهم من بني إسرائيل وغيرهم في تكليفهم بأمر ثقيلة وعظيمة بسبب أعمال ارتكبوها وسيئات اقترفوها، كما قال ﷺ: ﴿فِيظَلُّوا مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ آمَوَالِ النَّاسِ بِالْبَطْلِ<sup>١</sup> وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٠-١٦١] فهم ابتلوا بسبب أعمالهم السيئة وإقدامهم على محارم الله جل وعلا، فشدد عليهم، ومن ذلك أنهم أمروا أن يقتلوا أنفسهم في توبتهم، وهذا من الآصار العظيمة.

ومن رحمة الله جل وعلا بهذه الأمة أن اكتفى منها سبحانه بالندم على الماضي، والإقلاع عن الذنوب، والعزم الصادق على ألا يعود إليها، وعدم الإصرار، وردّ المظالم إلى أهلها، وجعلها توبة كافية لمحو السيئات بغير حاجة إلى أن يقتلوا أنفسهم، فهذا من =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٢٦).

= رحمة الله تعالى ومن تيسيره جل وعلا.

فالمقصود من هذا كله بيان أن الواجب على العباد السمع والطاعة في كل شيء، والإذعانُ لأمر الله ورسوله، وألا يخالفوا أمر الله بالعصيان، وألا يتأسوا بالماضين من الأمم المخالفة العاصية التي احتالت على الأنبياء وعصت، بل يجب على الأمة - التي هي خير الأمم ورسولها خير الرسل - أن يقابلوا أوامر الله بالصبر والانسراح وطيب النفس والامتثال، وأن يصدّقوا أخباره سبحانه وتعالى، وأن ينقادوا لأمره، وأن يقفروا عند حدوده، وأن يعلموا أن في ذلك الخير العظيم والعاقبة الحميدة، هذا الذي وعد الله به مَنْ صَبَرَ واستقام واتقى، فالله ﷻ يقبل توبته، ويسر له أمره، ويعينه على أداء الحق، ويزيل ما في قلبه مما قد يضره من وساوس وأفكار تضره رحمة منه وإحساناً سبحانه وتعالى.

﴿عُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ دلالة على أن المصير والمرجع إلى الله، فمن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها، والدار داران: إما الجنة وهي دار المتقين المحسنين الصابرين، وإما النار =

= وهي دار الكافرين العاصين المخالفين المتابعين للهوى، نسأل الله السلامة! فالواجب على العباد استشعار ذلك، فالمصير إلى الله جل وعلا، وسيجازيهم بأعمالهم، فإذا علمت أن المصير إلى الله، وأنت مجازى بعملك، فالواجب عليك أن تُعَدَّ العدة، وأن تكون على أهبة صالحة إذا صرت إلى الله، فتلقى الخير العظيم، والإحسان والعاقبة الحميدة\*.

\* س: ما صحة حديث «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروا عليه»<sup>(١)</sup>؟

ج: في صحته نظر، وقد حَكَمَ عليه بعض الحفاظ بأنه غير ثابت، لكن له شواهد؛ فالخطأ أو النسيان شاهده الآية الكريمة ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقد قال الله: قد فعلت<sup>(٢)</sup>.

وأما ما استكروا عليه، فمعروف أن الإكراه يرفع الحرج ويرفع الحكم، كما في قوله سبحانه: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ [النحل: ١٠٦].

فالحديث له شواهد من جهة المعنى، أما سنده فهو ضعيف عند أهل =

(١) أخرجه ابن ماجه: الطلاق (٢٠٤٣).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (١٢٥).

= العلم، قال أبو حاتم: لا يثبت. وقال آخرون: لا بأس به. فالحاصل أنه حديث ضعيف عند أهل العلم، ولكن حديث «إن الله تجاوز عن أمي ما حدثت به نفسها ما لم تعمل أو تكلم»<sup>(١)</sup>.

س: بمناسبة ذكر كلمة التقليد الأعمى، إذا قلنا بمنع التقليد، فهل نحكم على المقلد الأعمى بالخطأ أم بالضلال أم بالكفر؟

ج: هذا فيه تفاوت وتفصيل، فابن القيم رحمه الله بسط هذا المقام وأوضحه في كتاب «إعلام الموقعين»، وتقدم أن التقليد ثلاثة أقسام: قسم واجب، وقسم محل اجتهاد ونظر، وقسم منكر محرّم لا يجوز أبداً لأنه قد يوقع في الكفر والضلال.

القسم الأول: للعامة، فالواجب على العامة الذين لا يعرفون الأحكام أن يسألوا أهل العلم، ويقلدوهم في ذلك، ويجتهدون في تحري الأعمى فالأعلم والأورع فالأورع، حسب طاقتهم، وليس يسعهم إلا هذا، قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فليس عليهم إلا أن يسألوا أهل العلم عن الحق والشرع، وعلى أهل العلم أن يبينوا لهم شرع الله، وعليهم أن يصدقوا وأن ينقادوا لهذا البيان؛ إذ ليس في طاقتهم التععيد والعلم بآيات الله وأدلته.

(١) أخرجه البخاري: العتق (٢٥٢٨)، ومسلم: الإيمان (١٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

= القسم الثاني: للمجتهد، والمجتهد يعلم الأحكام، ولكن قد تأتي حادثة يضيق الوقت عن استيفاء الأدلة فيها، فيقلد من يغلب على ظنه أنه أعلم بالأحكام وأقرب إلى الشرع في هذه المسألة التي نزلت به.

القسم الثالث: المجتهد طالب العلم المتبصر، الذي لا ضيق عليه، وفي إمكانه النظر، فالواجب عليه النظر، ولا يجوز له التقليد في ذلك، لا في العقائد ولا في الأحكام.

س: ما الشروط التي تشترط للمجتهد، فهل يجب أن يكون عالماً باللغة... إلخ؟

ج: على حسب طاقته، حتى يكون عالماً بالأدوات التي تمكنه من معرفة الأدلة، أما توسعه فيها فليس بشرط، فالمهم أن تكون عنده بصيرة تمكنه من معرفة الأدلة الشرعية، من جهة اللغة ومن جهة القواعد الشرعية التي قررها العلماء في أصول الفقه وفي مصطلح الحديث.

فليس المراد أن يكون كاملاً أو يغلب عليه ذلك، وإنما المقصود أن تكون عنده بصيرة تمكنه من معرفة الدليل ومعرفة ما يعارضه، حتى يرده أو يسلم له.

س: هل يعني هذا أن من شروط المجتهد أن يكون عالماً باللغة أو بأصول الفقه أو.... إلخ؟

=

= ج: لا يشترط أن يكون عالماً بكل شيء، ولكن يكفي أن يكون عنده معلومات تُعينه على الاجتهاد، فعبارات الإطلاق ليست على إطلاقها، فالمراد أن يكون عنده معلومات تكفيه.

س: هل العامي يسأل عن الدليل كما في قول الله تعالى: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ ﴿ [النحل: ٤٣-٤٤]؟

ج: يسأل عن الشرع، وإلا فهو لا يعرف الدليل - الآية أو الحديث - فيسأل: يا فلان، أخبرني بما شرع الله في هذا الشيء، أو ما يجب علي في هذا الشيء؟ وعلى المسؤول أن يتقي الله فيه، وأن يتحرى الحق؛ لأن هذا العامي لا يعرف الدليل.